نبيل فاروق

بلا رؤوس

رواية



سبارك للنشر والتوزيع

بلا رءوس

•

رواية من أدب الرعب

•

إن جميع ما تقدمه (سبارك) هو مصنفات عربية مائة في المائة لا تشوبه شبه الترجمة أو الاقتباس أو النقل عن أي قصص أوروبية أو أمريكية.

•

إشراف
د. تامر إبراهيم
محمد جاسم الهزاع

•

تصميم الغلاف
أحمد مراد

•

الإخراج الفني
م. أحمد محمد أحمد

•

بقلم
د. نبيل فاروق

•

سبارك للنشر والتوزيع

•

•

رقم الإيداع/ 2013/20921

سبارك
www.spark-books.com

د. نبيل فاروق

رواية

بلا رءوس

سبارك

الفصل الأول

" هل ستتأخر الليلة أيضاً؟!... "

توقفت يد مقدم المباحث (عابد شوقى)، قبل أن تبلغ أكرة باب منزله، والتقط نفساً عميقاً، ملأ به صدره، فى محاولة للسيطرة على توتر أعصابه، وهو يرسم على شفتيه، فى صعوبة، ابتسامة مصطنعة، ملتفتاً إلى زوجته (جميلة)، قائلاً:

- ليس هذا بإرادتى يا حبيبتى... إنه عملى .

مطت شفتيها، قائلة فى تحفز:

- كل أزواج صديقاتى يعملون، ولكنهم يقضون لياليهم فى منازلهم، مع زوجاتهم وأولادهم .

مرة أخرى حاول كتمان توتره، وهو يجيب:

- لا أحد منهم يعمل فى إدارة البحث الجنائى مثلى.... وليس منهم من واجه جريمة قتل، تحتاج إلى وقته كله لكشفها .

بدت وكأنها تزمجر، وهى تقول:

- جرائم القتل لا تحدث كل يوم .

أجاب، وقد بدأت نبرة صارمة تتسلل إلى صوته:

- وأنا لا أمضى كل ليلة خارج المنزل... ثلاثة أيام فى الأسبوع فحسب .

هزت كتفيها، وأشاحت بوجهها عنه، قائلة:

- وماذا عن يوم الجمعة السابق؟!

التقط نفساً عميقاً آخر، وقال، فى شئ من الحدة:

- كنا منشغلين بالتحرى عن حالة الزوجة، التى تم العثور عليها

مذبوحة فى منزلها، و..

قاطعته فى لهجة مستفزة:

- وماذا عن يوم الجمعة الذى قبله؟!

فقد قدرته على التحكم فى أعصابه، وهو يصيح بها:

- ماذا تريدين بالضبط يا (جميلة)؟!

صرخت فيه:

- أريد زوجاً مقيماً، وليس....

قبل أن تتم عبارتها، كان قد فتح الباب، ووثب يعبره، ويغلقه خلفه فى قوة...

وبينما يهبط مسرعاً، فى درجات السلم، كان صوتها يصله دون تمييز، وهى تصرخ فى غضب شديد...

استعاد الموقف فى ذهنه، وهو يجلس داخل سيارة الشرطة، التى تنطلق به، نحو تلك المنطقة، التى مازالت تحتفظ بهدوئها وعراقتها، من حى المعادى القديمة، وسمع مساعده الملازم (سعيد) يقول فى توتر:

- يقولون: إنها جريمة بشعة .

غمغم فى ضيق:

- هذا ما أبلغونى به أيضاً

ثم أشار بيده، مضيفاً:

- لابد وأنهم مبتدءون فى هذا المجال... لقد شاهدت من الجرائم البشعة، ما يمكن أن يشيب له شعرهم هولاً... انتظر حتى نصل، وستجد

أنها جريمة عادية، نسبة إلى ما مرَّ بنا من قبل

أومأ (سعيد) برأسه، مغمغماً:

- أتعشَّم هذا يا (عابد) بك... اتعشَّم هذا .

ألقى عليه نظرة جانبية مشفقة، وغمغم:

- سترى .

" أستطيع ان أستوعب قتلك لزوجك؛ بسبب قسوته البالغة معك...."

رفعت إليه تلك المرأة النحيلة، ذات الوجه الشاحب والعينين الغائرتين بصرها، دون أن تنبس ببنت شفة، فمال على مكتبه بحركة مفاجئة، وضرب سطحه براحته فى قوة، مضيفاً فى صرامة قاسية:

- ولكن أن تقومى بتقطيع أطرافه، وتوزيعها فى أكياس سوداء، على كل صناديق القمامة فى المنطقة، فهذا مالا أفهمه .

تراجعت المرأة فى شحوب أكثر، وانتزعت الكلمات من حلقها فى صعوبة، مغمغمة:

- لا يضير الشاه سلخها بعد ذبحها .

اعتدل فى حركة بطيئة، قائلاً فى حدة:

- ومن أين اكتسبت هذه الحكمة؟!

هزَّت رأسها فى صعوبة، وهى تقول فى ضعف:

- وما الفارق يا باشا؟!.... لقد قتلته، ولن يشعر بشئ بعد موته، فما الفارق؟!

قال فى صرامة:

- وحشية الجريمة .

خيِّل إليه أنها تبتسم، ابتسامة أشد شحوباً من وجهها، وهى تغمغم:

- لم تكن هناك أية وحشية... لقد وضعت علبة من الأقراص المنوِّمة فى طعامه، الذى اعتاد التهامة فى نهم، بعد أن يشبعنى ركلاً وضرباً .

ونظرت إليه بعدها مرة أخرى، مع إضافتها:

- كل ما حدث، هو أنه نام فى عمق أكثر من اللازم... نام ولم يستيقظ مرة أخرى أبداً .

وأغلقت عينيها، مكملة، فيما بدا له أشبه بالأسف:

- أؤكِّد لك أنه قد مات، ودون حتى أن يشعر بهذا .

تراجع فى دهشة، وهو يقول:

- أتشعرين بالأسف لهذا؟!

التقطت نفساً ضعيفاً كجسدها النحيل، وهى تومئ برأسها إيجاباً، مغمغمة:

- كنت اتمنى أن يتعذب فى موته، كما عذبنى فى حياته .

كان يريد أن يصرخ فى وجهها فى قسوة، ولكنه وجد نفسه يغمغم فى اشمئزاز:

- لهذا قمت بتقطيعه، ووضعه فى أكياس القمامة السوداء؟!

هزَّت رأسها نفياً فى بطء، مجيبة:

- لم أفعل هذا، إلا بعد أن تأكَّدت من أنه قد لفظ أنفاسه الأخيرة بالفعل .

سألها مشمئزاً:

- من باب الانتقام؟!

تنهّدت فى مرارة، قائلة:

- انتقام ماذا يا باشا... لقد قتلته بالفعل، وكل ما فعلته بعد هذا، كان دفاعاً عن النفس.

هتف مستنكراً:

- ضد رجل ميت؟!

هزت رأسها نفياً بنفس البطء، وهى تقول:

- بل دفاعاً عن نفسى يا باشا.... عن حياتى... لقد قتلته، ثم خشيت أن يكون ثمن هذا هو إعدامى... لا أحد سيتفهم الأسباب والدوافع.... وكنت وحدى معه فى العشة.... أو مع جثته بالأصح، والتى ظللت أحدق فيها ساعة كاملة، قبل أن تنبت الفكرة فى رأسى.

مال نحوها فى اهتمام، يسألها:

- أية فكرة؟!

أشارت بيدها فى ضعف، مجيبة:

- فكرة ضرورة التخلص من الجثة، حتى لا ينكشف أمرى.

وازدردت لعابها فى صعوبة، قبل أن تتابع:

- لم أستطع حمل جسده الضخم، وأظن السبب يبدو واضحاً... ولهذا قمت بتقطيعه إلى أجزاء، يسهل حملها والتخلص منها.

زمجر فى صرامة، وهو يقول:

- فاتك أن زوجك مسجّل خطر، وبصماته مسجّلة لدينا، وفور

عثورنا على أجزاء جسده، التى التهمت الكلاب معظمها، حتى عرفنا منهو، وأين يقيم، وهناك أمسكنا بك تحاولين تنظيف آثار الدماء.

ثم مال نحوها فى شدة مضيفاً فى قسوة:

- ألا تشعرين بالأسف؟!

أومأت برأسها إيجاباً، وهى تغمغم:

- بالتأكيد.

ثم رفعت بصرها إليه فى نظرة متحدية، مضيفة:

- على الكلاب.

" وصلنا يا باشا.... "...

انتزعه (سعيد) من ذكرياته مرة اخرى، فانعقد حاجباه، وهو يقول فى حدة:

- حقاً؟!

قبل حتى أن يدخل إلى حديقة تلك الفيلا القديمة، فى الحى الهادئ، بدأ يشعر بالتوتر، تجاه هذه الجريمة، التى وصفها الكل بالبشاعة...

فعند مدخل الحديقة، كانت تقف ثلاث سيارات شرطة، وسيارة المعمل الجنائى المساعدة الكبيرة....

وإلى جوار إحدى السيارات الثلاث، كان هناك ضابط شرطة، برتبة تماثل رتبته، ينحنى إنحناءة كبيرة، وهو يفرغ محتويات معدته فى عنف، على نحو يوحى بأنه قد رأى ما أثار معدته إلى حد مفزع..

وإلى جواره، كان هناك ضابط صغير، برتبة ملازم أوّل، يستند إلى سقف السيارة، وكأنه يخشى أن يفقد توازنه، ويضع قبضته على فمه،

وكأنه يمنع نفسه بالكاد، من أن يحذو حذو الضابط الاكبر رتبة...

وبكل دهشته، أشار (عابد) إلى الضابط الشاب، متسائلاً:

- ما الذى عثرتم عليه هنا؟!..

كان كل ما حصل عليه، هو إشارة من اليد الخالية للضابط، إلى داخل الحديقة، وكأنه يخشى أن يرفع قبضته عن فمه، فتتفجر محتويات معدته، دون ضابط أو رابط...

مطّ (عابد) شفتيه، مكتفياً بهذا، ودلف إلى الحديقة؛ ليستقبله ضابط شاحب الوجه، حملت ملامحه اشمئزازاً كبيراً، فسأله، والتوتر يتصاعد داخله:

- ماذا يحدث هنا؟!

أجابه الضابط فى شحوب:

- تلقينا بلاغاً من عم (ناجى)، بستانى الفيلا، بعثوره على... على...

بدا وكأن الضابط عاجز عن إتمام الجواب، فقال يستحثه:

- على جثة؟!

هزّ الضابط رأسه نفياً فى قوة، ثم أشار إلى منطقة قريبة، التف حولها عدد من رجال الشرطة والبحث الجنائى، وكلهم يتحاشون النظر إلى حفرة كبيرة، جلس إلى جوارها فلاح نحيل، فى حوالى الستين من عمره، يهتز جسده، وكأنه يبكى فى حرارة...

ومع ذلك الموقف الغامض، اتجه (عابد) نحو تلك الحفرة...

كان هناك صندوق كبير داخلها، يحوى عدة أجسام، لم يتبيّن طبيعتها بالضبط، فأشعل مصباحه اليدوى، الذى لا يفارقه قط، ومال

برأسه فى زاوية حادة، ليلقى نظرة أفضل...

ثم ارتد فى عنف شديد...

فتلك الأشياء الكبيرة، التى يحويها الصندوق، لم تكن سوى رءوس...

مجموعة من الرءوس البشرية المقطوعة، فى مراحل مختلفة من التغيرات الرمّية...

وعلى الرغم من خبراته الطويلة، كان هذا أبشع ما شاهده فى حياته...

على الإطلاق...

وفى صعوبة شديدة، قاوم ذلك الشعور، الذى أصاب الجميع، بالرغبة فى إفراغ محتويات معدته...

ثم انتبه فجأة إلى أن كل العيون تصب عليه، وكأن الكل ينتظر منه ما يعجزون هم عن قوله وفعله.

تلك النظرات، التى تجمع ما بين الترقّب واللهفة، وكثير من المناشدة، أجبرته على أن يشد قامته، ويعاود الميل نحو ذلك الصندوق؛ ليلقى نظرة ثانية على محتوياته البشعة...

كانت كلها رءوس حديثة القطع نسبياً، وفى أوقات مختلفة، تدل عليها نسب التغيرات الرمية التى أصابتها...

ولكنها كانت تشترك كلها فى أمور بعينها...

زرقة رمية، تجعلها أشبه بذلك الذى تراه فى أفلام الرعب...

وملامح رعب وألم رهيبة، تطلّ واضحة من تلك العيون، التى اتسعت عن آخرها، وفقدت بريق الحياة...

وثقب واضح، فى قمة كل رأس...

ومن خلفه، سمع شهقة قوية، أعقبها صوت رجل يفرغ محتويات معدته فى قوة، فالتفت فى حدة إلى مساعده (سعيد)، هاتفاً:

- تماسك يا هذا .

أشار (سعيد) بسبابة مرتجفة إلى الصندوق، هاتفاً فى شحوب:

- ما هذا بالضبط؟!

أمسك كتفه، وهو يقول فى صرامة:

- تماسك أو انصرف .

تطلع إليه الملازم (سعيد) لحظات فى أعياء، قبل أن يستدير قائلاً:

- سانتظر فى السيارة .

أشار إليه أن يذهب، وهو يلتفت إلى أحد الضباط، ويسأله، متحاشياً النظر إلى ذلك الصندوق:

- كيف عثرتم عليه؟!

أشار الضابط فى شحوب، إلى ذلك الفلاح النحيل، مجيباً:

- إنه عم (ناجى)... بستانى الفيلا، كان يحاول إصلاح رشاشة مياة معطلة، عندما عثر على الصندوق، وعندما فتحه، أصابه رعب شديد، جعله يصرخ على نحو متواصل، جذب إليه بعض الجيران، الذين هالهم ما رأوا، فأسرعوا يبلغون الشرطة .

أدار (عابد) بصره إلى ذلك الفلاح النحيل، وهو يسأل:

- من يقيم فى هذه الفيلا؟!

أجابه الضابط فى سرعة:

- الاوراق الرسمية تقول: إن الفيلا ملك الدكتور (أكرم حمدى)، ولكنه هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية، منذ خمس سنوات، ومنذ ذلك الحين، يتم تأجير الفيلا بعقود سنوية أو شهرية، وفقاً للمتاح .

غمغم (عابد)، وهو يفكر فى عمق:

- منذ خمس سنوات!... تلك الرءوس لم تمض عليها هنا خمسة أسابيع.

ثم عاد يتساءل فى اهتمام:

- ومن يستأجر الفيلا فى الوقت الحالى؟!

هزَّ الضابط راسه نفياً، وهو يجيب:

- لا أحد .

قال (عابد) فى عصبية:

- ماذا تعنى بلا أحد؟!... المفترض من كل من يؤجِّر عقاراً، أن يبلغ الأمن بهوية المستأجر.

أشار الضابط بيده، قائلاً فى توتر:

- أكثر من تسعين فى المائة، ممن يؤجِّرون عقاراتهم، لا يفعلون هذا على نحو قانونى؛ تهرُّباً من الضرائب، ولا أحد منهم- تقريباً- يبلغ الشرطة، أو الجهات الرسمية، بأسماء من يستأجرون عقارهم .

كان (عابد) يهم بقول غاضب آخر، عندما أشار الضابط إلى عم (ناجى)، مستدركاً:

- ولكن عم (ناجى) يعرف .

استدار (عابد) بعينيه مرة أخرى نحو عم (ناجى) هذا، وهو يغمغم فى عصبية:

- لماذا لم تقل هذا من البداية؟!

تركه، واتجه نحو الفلاح النحيل، الذى مازال يخفى وجهه بكفيه، وينتحب بصوت مسموع، ومال نحوه، هامساً:

- عم (ناجى) .

انتفض الرجل فى قوة، ورفع إليه عينيه الحمراويين، المغرورقتين بالدموع، فى تساؤل مذعور، فربت على كتفه محاولاً تهدئته، وهو يقول:

- أريد أن أتحدث إليك قليلاً .

هتف عم (ناجى) فى هلع:

- لقد أخبرت الباشوات بكل ما أعرفه .

ربت على كتفه مرة أخرى، وأضاف ابتسامة ودود إلى صوته، قائلاً:

- مجرد حديث يا عم (ناجى)... مجرد حديث .

تبعه الرجل مرتجفاً، وانتحى به (عابد) ركناً بعيداً عن ذلك الصندوق المخيف، ووضع يده على كتفه كصديقين قديمين، وهو يسأله:

- من يقوم بتأجير الفيلا يا عم (ناجى)؟!

أجابه (ناجى) فى حذر متوتر:

- الأستاذة (مروة) المحامية... تبرم العقود، وتقتطع منها عمولتها، ثم تودع الباقى فى حساب الدكتور (أكرم) .

سأله، محاولاً الاحتفاظ بابتسامته:

- ومن آخر من استأجر الفيلا؟!

أجابه فى سرعة:

- (يزبك) بك .

اعتدل (عابد)، يسأله فى اهتمام:

- من (يزبك) بك هذا؟!

حدق فيه (ناجى) فى حيرة، وهو يجيب:

- مستأجر!!...

لم يستطع (عابد) منع تلك الصرامة، التى تسللت إلى صوته، وهو يقول:

- إذن فأنت لا تعرف عنه شيئاً .

بدا الرجل أكثر حيرة، وهو يشير بيده، قائلاً:

- لم التق به سوى مرة واحدة، عندما أتى بأدواته إلى هنا .

قال (عابد) فى صرامة:

- المفترض أنك بستانى الحديقة...

أشار (ناجى) بيده، وهو يقول فى حنق متهالك:

- لقد منعنى من الاقتراب منها، طيلة وجوده هنا... انظر إلى حالة المزروعات يا باشا... لولا الرشاشات الآلية لـ...

قاطعه (عابد) فى صرامة:

- أية أدوات تقصد؟!

حدق فيه (ناجى) بضع لحظات، وكأنه لا يفهم السؤال، ثم انتبه فجأة، فقال:

- أدوات نجارة على الأرجح .

سأله (عابد)، والأمور تتراص فى رأسه:

- ولماذا على الأرجح؟!

أشار (ناجى) بيده بضع لحظات فى حيرة، قبل أن يقول:

- وماذا يمكن أن تكون سوى هذا... لقد أحضر منشاراً كهربياً، ومطارق، ومثقاب كبير .

تراجع (عابد) فى حدة، وهو يهتف:

- منشار كهربى، ومثقاب كبير؟!

انكمش (ناجى)، قائلاً فى رعب:

- أقسم أن هذا ما أحضره يا باشا .

تراصت الأمور والمعلومات فى رأس (عابد) فى سرعة...

رءوس مقطوعة، ومثقوبة فى أعلى الرأس...

و(يزبك) هذا أحضر منشاراً كهربياً، ومثقاباً كبيراً...

ومنع (ناجى) من الاقتراب من الحديقة...

لم يعد هناك من شك إذن...

(يزبك) هذا فعلها بكل تأكيد...

" سيادة المقدم... هناك ما ينبغى أن تراه.... "...

قالها أحد الضباط، وهو يتجه نحو (عابد)، الذى التفت إليه، يسأله فى حدة لم يتعمَّدها:

- وما هو؟!

أشار الضابط بإبهامه، إلى ما خلف ظهره، وهو يقول:

- هناك... فى قبو الفيلا .

ودون إضاعة ثانية أخرى، اتجه (عابد) معه إلى قبو الفيلا...

كان قبواً عريقاً، ألقيت فيه قطع أثاث قديمة متهالكة، وإن توسطته ساحة كبيرة خالية، ويضيئه كله مصباح قديم باهت...

وفى انفعال مكتوم، أشار الضابط إلى تلك المساحة الخالية، قائلاً:

- ها هو ذا .

ضاقت عينا (عابد)، وهو يحاول تبيُّن ما يشير إليه الضابط، تحت الضوء الخافت...

ثم تراجع فى حركة عنيفة كالمصعوق...

فما رآه كان مخيفاً...

بكل المقاييس.

• • •

الفصل الثانى

بقعة كبيرة من الدم، كانت تغطى الأرضية الأسمنتية، فى قبو فيلا الدكتور (أكرم حمدى)...

مشهد لا يمكن أن ينساه المقدِّم (عابد)...

أبداً...

تراجع فى اشمئزاز عنيف، وانتبه إلى أن القبو قد خلا من الجميع فيما عداه...

والظلام ساد أركان القبو كلها، فيما عدا تلك البقعة الدموية، التى تألّقت على نحو يخالف تركيبة الدم الطبيعى، وبدت وكأنها تتسع...

وتتسع...

وتتسع...

وبكل توتره وانفعاله، هتف (عابد):

- أين ذهب الجميع؟!...

جاوبه صمت رهيب مخيف، فتراجع فى توتر، محاولاً إيجاد باب القبو، الذى عبره منذ دقيقة واحدة أو أقل...

ومما أفزعه، أنه لم يعثر عليه...

بحث...

وبحث...

وبحث...

ولكنه لم يعثر على ذلك الباب...

كل ما أحاط به هو جدران...

جدران قاسية...

حجرية...

خشنة...

جدران توحى بانه لم يكن هناك باب أبداً...

وصرخ (عابد):

- أين أنتم؟!..

تردَّد صدى صرخته فى القبو، حتى أنه شعر ليس داخل قبو، بل داخل قبر....

قبر عميق، مخيف...

قبر قد يقضى فيه ما تبقى من عمره...

لو انه تبقى منه شيئاً...

ولكن كل ما شعر به من فزع ويأس، لم يقارنا بما شعر به فى اللحظة التالية...

فبينما كان يدق الجدران، بحثاً عن مخرج، شعر بتلك الحركة من خلفه، فالتفت فى سرعة إلى داخل القبو، حيث بقعة الدم الكبيرة...

واتسعت عيناه عن آخرهما فى رعب..

وخفق قلبه فى قوة، لم يخفق بها أبداً من قبل...

فمن وسط بقعة الدم، ظهرت يد...

ثم ذراع...

ثم جسد كامل...

أو أنه جسد فحسب...

جسد بلا راس...

برز ذلك الجسد، وكأنه يصعد من أعماق بئر، وما ان استقر على أرضية القبو، حتى تبعه آخر...

وآخر...

وآخر...

أجساد بلا رءوس، وقفت كلها متراصة، فى مواجهة (عابد)، ثم راحت تتحرك نحوه، كما لو أنها جيش صغير..

جيش بلا رءوس...

وتراجع (عابد) فى رعب، حتى التصق بالجدار، واتسعت عيناه عن آخرهما، وتلك الأجساد بلا رءوس تقترب...

وتقترب...

وتقترب...

وفى بطء، رفع أحدهم يده، ذات الأصابع الدامية، نحو وجه (عابد)، الذى انتفض جسده كله، وحاول أن يصرخ، إلا أن صوته انحبس فى حلقه، و...

" كلا..." ..

هتف بالكلمة، وهو يضرب ذراعيه فى الهواء، ويهبُّ جالساً على فراشه فى حركة حادة، جعلت زوجته (جميلة) تهب من نومها بدورها، هاتفة فى ذعر:

- ماذا حدث؟!..

كان (عابد) يرتجف على نحو عجيب، ويتصبَّب عرقاً فى غزارة، وهو يغمغم فى اضطراب:

- إنه كابوس... كابوس بشع...

أضاءت المصباح المجاور لها، وارتجف جسدها مع مرأى ملامحه، فأمسكت بيده المرتجفة، وهى تغمغم مضطربة:

- أكان بشعاً إلى هذا الحد؟!

مسح وجهه بيده، وهو يغمغم:

- أبشع مما يمكنك تصوُّره.

أسرعت تناوله كوباً من الماء، وهى تقول:

- حاول أن تهدأ قليلاً.

التقط منها كوب الماء، وراح يشربه فى بطء، ثم التقط نفساً عميقاً، وقال:

- لا بأس... يمكنك العودة إلى النوم... لقد هدأت كثيراً بالفعل.

تطلَّعت إليه لحظة فى قلق، ثم حاولت العودة إلى النوم، وهى تغمغم:

- اتل بعض آيات القرآن الكريم، قبل عودتك للنوم.

غمغم:

- سأفعل بإذن الله.

استلقى على فراشه متظاهراً بالنوم، حتى بدأت أنفاسها تنتظم، ثم نهض من رقاده، وجلس بضع لحظات على طرف الفراش، ثم نهض يغادر الحجرة، وترك جسده يسقط على تلك الأريكة الكبيرة فى صالة المنزل...

وفى عصبية، اشعل سيجارة، وجلس ينفث دخانها فى ظلام المكان، وهو يستعيد تلك الذكرى البشعة...

ذكرى ما حدث هناك...

فى قبو فيلا الدكتور (أكرم حمدى)...

" ما هذا بالضبط؟!.... ... "

هتف بالعبارة فى دهشة مشمئزة، عندما تبيَّن ذلك الأمر المخيف، فى قبو الفيلا...

طبقة الأسمنت، التى تغطى أرضية القبو، لم يكن لها ذلك اللون الطبيعى للأسمنت...

لقد امتزج لونها بلون آخر...

لون الدم...

المشهد جعله يتسمَّر لحظات فى مكانه، محدِّقاً فى الأرضية الأسمنتية، الممزوجة بالدم، قبل أن ينتبه إلى أن كل العيون تتطلَّع إليه فى ترقُّب، فتنحنح وهو ينتزع نفسه من جموده، ويتجه نحوها بمشية، حاول أن يضفى عليها الثبات؛ لينحنى ويلمس تلك الأرضية الأسمنية...

لم تكن متماسكة على نحو يتناسب مع ما ينبغى أن تكون عليه، ولم تكن رخوة فى الوقت ذاته، مما جعله يغمغم فى اشمئزاز، لم يستطع كبحه:

- لقد استخدم الدم بدلاً من الماء؛ لمزج هذا الأسمنت... ربما لهذا لم يتماسك كما ينبغى.

حملت أنامله قطرات من الدم، فأخرج منديله ليمسحها، وهو يغمغم فى توتر:

- هنا دفن تلك الأجساد حتماً.

تساءل أحد الضباط، فى توتر مماثل:

- لماذا لم يدفن الرءوس معها إذن؟!

كان السؤال منطقياً تماماً، فأشاح (عابد) بوجهه، وقال وهو يستدير لمغادرة القبو:

- ستعرف الجواب، عندما نستخرج الجثث.

شحب وجه الضابط، وهو يقول:

- هل تعنى أننا...

قاطعه (عابد) فى صرامة، وهو يغادر القبو:

- نعم... سنحفر الأرضية، ونستخرج الجثث..

أشفق كثيراً على العمال والفنيين، الذين قضوا خمس ساعات كاملة، فى حفر تلك الأرضية الرخوة، وهو ينتظرهم خارج الفيلا، مع الملازم (سعيد)، الذى عاد إلى حديقتها، بعد أن أفرغ محتويات معدته مرتين خارجها، والذى غمغم فى خفوت:

- هل تعتقد بالفعل أنهم سيعثرون على جثث بلا رءوس هناك؟!

أجابه (عابد) فى غلظة، حاول أن يخفى بها توتره:

- أين ستكون إذن؟!

صمت (سعيد) لحظة، ثم قال فى حذر:

- المفترض، بعد كل ما استغرقوه من وقت، أن يكونوا قد عثروا ولو على جثة واحدة...

أثارت العبارة توتر (عابد) أكثر، فأشار بيده إلى أحد جنوده، قائلاً

فى صرامة:

- اذهب وانظر على كم جثة عثروا حتى الآن .

تردُد الجندى المسكين، ثم جر قدميه جراً إلى الداخل، فى حين التفت (عابد) إلى عم (ناجى)، الذى انشغل بتنسيق الحديقة وإزالة الأعشاب الضارة منها، وغمغم فى عصبية:

- كم أحسد هذا البستانى .

التفت إليه (سعيد)، فى دهشة متسائلة، فأردف:

- الحديقة والبستنة هى كل ما يشغله، حتى ولو زرعوها كلها بالجثث .

غمغم (سعيد):

- إنه عمله .

أجابه (عابد) فى حدة:

- وأين مشاعره؟!

ابتسم (سعيد) أو حاول، وهو يغمغم:

- هذا ما ينبغى أن تحسده عليه؛ فهؤلاء الناس يشغلهم السعى على لقمة عيشهم، عن كل ما سوى هذا... حتى المشاعر.

عاد الجندى فى هذه اللحظة، وبدا اكثر ارتياحاً، وهو يقول:

- لم يعثروا على أية جثث يا سيادة المفتش .

اعتدل (عابد) فى حركة حادة، وانعقد حاجباه فى شدة، وهو ينظر إلى الجندى فى غضب، أصاب هذا الأخير بالذعر...

وفى أعمق أعماق فزعه وانفعاله، انطلق سؤال مخيف...

لو أن تلك الأرضية لا تخفى الجثث، فلماذا كانت؟!...

وأين تلك الجثث بلا رءوس؟!...

أين؟!..

أين؟!..

وظلت تساؤلاته ترتجف فى عقله...

بلا جواب...

على الإطلاق...

• • •

أوشك الفجر على إعلان مولده، وازداد الطقس برودة على نحو ملحوظ، وبدأت قطرات مطر صغيرة فى التساقط، عندما ركن ذلك الرجل سيارته، إلى جانب الطريق، وراح يلهث، وهو يحاول استبدال إطار تالف، قبل أن تتزايد حدة الأمطار...

وبينما يحمل الإطار الإضافى؛ لوضعه فى موضع الإطار التالف، توقفت بالقرب منه سيارة فاخرة، أطل منها وجه رجل وقور، يرتدى حلة فاخرة، سأله فى لهجة شديدة الود:

- هل تحتاج إلى مساعدة؟!

جفف الرجل عرقه، وهو يلتفت إليه بابتسامة، قائلاً فى صوت لاهث:

- لو أنه يمكنك استبدال إطار .

فتح الوقور سيارته، وهبط إليه، قائلاً بنفس الود:

- لقد فعلت هذا أكثر من مرة .

كان الطقس يزداد سوءاً، والشارع يخلو من المارة، حتى أن الرجل لم يشأ إضاعة هذه الفرصة، فجفف عرقه مرة أخرى، قائلاً:

- لو أنك تصرُّ.

اتسعت ابتسامة الوقور، واتجه إلى الرجل، قائلاً:

- سأقوم برفع السيارة، فى حين تخرج أنت الإطار التالف.

غمغم الرجل:

- فليكن.

أمسك الإطار التالف، وهو ينحنى إلى الأمام، مولياً ظهره للوقور، منتظراً منه أن يستخدم رافع السيارة، و...

وفجأة، شعر بوخزة مؤلمة فى عنقه..

وفى ذعر وألم، التفت إلى الوقور، الذى وقف خلفه، ممسكاً بمحقن طبى فارغ، وعلى شفتيه ابتسامة عجيبة، لا تمت للود بصلة...

ابتسامة مخيفة..

وحشية...

شيطانية...

وبكل ذعره، صرخ الرجل:

- ماذا فعلت؟!

ولم يجب الوقور...

فقط اتسعت ابتسامته الشيطانية، وهو يتراجع خطوتين...

وحاول الرجل الانقضاض عليه...

بل حاول أن يصرخ..

أن يستنجد...

أن يفعل أى شئ...

ولكن جسده كله تراخى فى سرعة مخيفة، وراحت الدنيا تظلم أمام عينيه، اللتين تثاقلتا على نحو مخيف، فغمغم فى انهيار:

- أيها الـ...

لم تسنح له لفرصة لإتمام كلمته، فهوى أرضاً، عند قدمى الوقور، الذى ابتسم فى ظفر، وانحنى يمسك به ويجذبه نحو سيارته، التى فتح صندوقها الخلفى، وألقى فيه الرجل الغائب عن الوعى، ثم انطلق بسيارته الفاخرة، وتساقط الأمطار يتزايد...

ويتزايد...

ويتزايد...

• • •

"صف لنا (يزيك) هذا..."...

قالها (عابد)، وهو يواجه عم (ناجى)، فى مكتبه الشخصى، فى مديرية الأمن، فلوّح (ناجى) بيده، قائلاً فى ضعف:

- كما أخبرتكم من قبل يا باشا... إنه بدين، مستدير الوجه، له شارب ضخم، أشبه بالملوك.

تطلّع إليه (عابد) لحظات، قبل أن يشير إلى رجل يجلس فى ركن المكتب، قائلاً:

- هل ترى هذا الرجل؟!

أومأ (ناجى) برأسه إيجاباً فى حذر، فتابع (عابد) فى حزم:

إنه رسَّام يتبع الشرطة، ستجلس معه، وتصف له (يزبك) هذا بقدر ما تستطيع، وهو سيحاول أن يتبع وصفك، ويعاونك بقدر الإمكان، على رسم أقرب صورة له... هل تفهم هذا؟!

أومأ (ناجى) برأسه مرة أخرى فى قلق، وهو يرمق الرسَّام فى شك حذر، فأشار (عابد) إلى رسَّام الشرطة، وهو يقول:

- إنه لك .

غادر الحجرة، تاركاً (ناجى) مع رسَّام الشرطة، واتجه إلى مكتب (سعيد)، الذى بدا منهمكاً أمام شاشة الكمبيوتر، ولم يكد يراه، حتى نهض فى احترام، فأشار إليه (عابد) بمعاودة الجلوس، وهو يسأله:

- هل عثرت على شئ؟!

هزَّ (سعيد) رأسه نفياً، وهو يجيب:

- اللبنانيون الذين دخلوا (مصر)، خلال العام السابق، فيهم سبعة يحملون اسم (يزبك)... ثلاثة منهم فقط مازالوا فى البلاد، ولم يسجِّل خروجهم بعد، أحدهم يقيم فى فندق (فورسيزونز)، والثانى فى فندق من فنادق الدرجة الثانية فى وسط البلد، والثالث مع أقاربه فى (مصر الجديدة) .

سأله (عابد) فى اهتمام:

- أيهم يطابق الوصف؟!

هزَّ (سعيد) رأسه مرة ثانية، مجيباً:

- لا أحد منهم .

انعقد حاجبا (عابد) فى ضيق، وأشاح بوجهه فى حنق، فرفع (سعيد) عينيه إليه، قائلاً:

- معذرة يا سيادة المفتش، ولكن هناك ما أهملناه تماماً.

التفت إليه (عابد) فى حركة حادة، قائلاً:

- وهو؟!

أجابه (سعيد) فى اهتمام:

- المحامية (مروة)... استئجار الفيلا يتم عبرها، وهى أكثر من يرشدنا إلى (يزبك) هذا .

ابتسم (عابد) ابتسامة عصبية، وهو يقول:

- وهل تتصوَّر أن هذا فاتنى؟!

قلب (سعيد) فكه دون أن يجيب، وإن أطل التساؤل واضحاً من عينيه، فتابع (عابد) فى صرامة:

- إنها تؤدى العمرة، وستعود مساء اليوم إلى (القاهرة)، وعندئذ...

لم يتم عبارته، فغمغم (سعيد):

- فهمت .

تراجع (عابد) فى ظفر ليس له ما يبرِّره، وقبل أن يقول شيئاً، ارتفع رنين هاتفه المحمول، فالتقطه فى سرعة، وألقى نظرة على شاشته، قائلاً فى لهفة واضحة:

- إنه الدكتور (نشأت) .

غمغم (سعيد)، فى لهفة مماثلة:

- الطبيب الشرعى؟!...

أومأ (عابد) برأسه إيجاباً، وهو يجيب الهاتف، متسائلاً:

- هل توصلت إلى شئ يا دكتور (نشأت)؟!

امتقع وجهه على نحو ملحوظ، وهو يستمع عبر الهاتف، إلى جواب سؤاله، فسأله (سعيد)، فى مزيج من اللهفة والقلق:

- ماذا وجد؟!

ولكن (عابد) بدا وكأنه حتى لم يسمعه...

لقد كان من الواضح أن ما يسمعه يحمل مفاجأة جديدة...

مفاجأة مذهلة...

أو مخيفة...

للغاية.

• • •

الفصل الثالث

فى عصبية شديدة، وقف المقدم (عابد) ينفث دخان سيجارته، امام نافذة مكتب الدكتور (نشأت)، كبير الأطباء الشرعيين، الذى ظلَّ صامتاً، يراقبه مشفقاً، وهو يدرك ما يعتمل فى نفسه، حتى استدار إليه (عابد)، وقال بكل عصبية:

- أعد ما أخبرتنى به مرة أخرى يا دكتور (نشأت).

أشار الدكتور (نشأت) بكفه، مغمغماً:

- لقد أخبرتك كل التفاصيل بالفعل.

أجابه (عابد)، فى شئ لم يقصده من الحدة:

- أريد سماعه مرة أخرى.

التقط الدكتور (نشأت) نفساً عميقاً، قبل أن يقول:

- كل تلك الرءوس تم قطعها، وأصحابها على قيد الحياة.

غمغم (عابد) فى اشمئزاز:

- يا للبشاعة!!

ثم أردف فى حدة:

- ومن الوحش الذى يمكن أن يفعل هذا؟!

هزَّ الدكتور (عابد) كتفيه، قائلاً:

- لم يشعر أحدهم بألم لقطع رأسه على الأرجح.

أشاح (عابد) برأسه، وهو يقول، نافثاً دخان سيجارته فى عصبية:

- ودون أن يخدِّرهم.

تنهد الدكتور (نشأت)، وكأنه يشعر بالملل، من إعادة ما سبق له

شرحه، منذ دقائق قليلة:

- لقد كانوا فى حالة شلل تام، بعد ان...

أشار إليه (عابد) بيده؛ ليمنعه من الاستطراد، ثم ألقى سيجارته أرضاً، وسحقها بقدمه فى عنف، وكأنما يسحق معها كل انفعالته، قبل أن يشير بيده مرة أخرى للدكتور (نشأت)، قائلاً:

- أعد ذلك الجزء البشع.

تنهّد الدكتور (نشأت) مرة أخرى، وقال:

- تلك الثقوب فى قمة كل رأس... لقد كانت مجرّد بداية لـ... لشفط أمخاخهم.

امتعض (عابد) على نحو واضح، وغمغم فى اشمئزاز:

- وهم على قيد الحياة.

أومأ الدكتور (نشأت) برأسه إيجاباً، وقال فى خفوت:

- هذا هو الجزء شديد البشاعة فى الأمر... لقد تم شفط أمخاخهم، بشئ أشبه بالمكنسة الكهربية، وهم على قيد الحياة.

أغمض (عابد) عينيه، وهو يغمغم فى امتعاض:

- لا ريب فى أن آلامهم كانت رهيبة.

صمت الدكتور (نشأت) لحظة، قبل أن يقول فى حذر:

- لا يمكننى الجزم.

التفت إليه (عابد) فى حركة حادة، قائلاً فى استنكار:

- كيف لا يمكنك الجزم؟!... قلت أن أمخاخهم تم شفطها، وهم على قيد الحياة، ورءوسهم كذلك تم قطعها، وهم على قيد الحياة، ولم

يتم تخديرهم، فكيف لا يمكنك الجزم بآلامهم.

التقط الدكتور (نشأت) نفساً عميقاً، وقال:

- علامات الرعب الهائل، التى انحفرت على وجوههم، تمت مع بداية ثقب جماجمهم، وشفط أمخاخهم من رءوسهم... ولكن الشعور بالألم يستلزم وجود مخ، يستقبل إشارة الألم من أى مكان فى الجسد، ثم يعيد إرسال الشعور بالألم إليه... وفور شفط المخ من الجمجمة، يتوقف عمل مستقبلات الألم فيه، فلا يرتد الشعور بالألم بالتالى ×

بدا (عابد) مبهوراً، وهو يقول:

- وماذا عن قطع الرءوس؟!

أشار الدكتور (نشأت) بيده، مجيباً:

- لقد تم فور شفط الأمخاخ.

تساءل (عابد) فى حيرة:

- وكيف بقيت الأجساد حية، بعد شفط الامخاخ؟!

أجابه الدكتور (نشأت) فى سرعة:

- حتى بعد شفط الامخاخ، يظل القلب يعمل لثوان؛ لأن له مركز عصبى مستقل ××

جاء دور المقدّم (عابد) ليتنهّد هذه المرة وهو يغمغم:

- لم أر فى حياتى العملية كلها أمراً بهذه البشاعة.

هزّ الدكتور (نشأت) رأسه، قائلاً:

- هذا ينطبق علىّ أيضاً.

ساد الصمت بينهما لحظات، قبل أن يلتفت (عابد) إلى الدكتور

(نشأت)، ويقول، وكأنه يحادث نفسه:

- من الواضح أننا امام قاتل متسلسل، من النادر أن نواجه مثله في (مصر).

قال الدكتور (نشأت) بدوره:

- وهو قاتل يعاني من لوثة عقلية، وسادية تفوق كل ما رأيته من قبل.

أشار (عابد) بيده، قائلاً:

- صحيح أنني لم أواجه قاتلاً متسلسلاً، طوال عملي في البحث الجنائي، ولكنني درست الكثير، عن هذا النوع من القتلة.

قال الدكتور (نشأت) في حذر:

- يبدو لي انك تحتاج إلى استشارة طبيب نفسي؛ لأن معظم القتلة المتسلسلين يعانون من خلل نفسي، على نحو أو آخر، وهذا يحكم اختيارهم لضحاياهم.

تطلّع إليه (عابد) لحظات في صمت، ثم قال في تفكير، غلب عليه التوتر:

- الرءوس التي عثرنا عليها، تشير إلى أن ضحاياه دوماً من الرجال.

أومأ الدكتور (نشأت) بيده، مكملاً:

- ما بين الخامسة والثلاثين والخامسة والاربعين.

سأله (عابد) في اهتمام:

- وماذا عن جنسياتهم؟!

أجابه الدكتور (نشأت) في سرعة:

- التحليل الجيني يرجح أنهم جميعاً مصريون.

اعتدل (عابد)، قائلاً:

- لو أنهم كذلك، فمن غير المنطقي أو الطبيعي، أن يختفي كل هذا العدد من الناس، دون إثارة الانتباه.

تردَّد الدكتور (نشأت) لحظات، ثم قال في حذر:

- (مصر) دولة كبيرة، ولو أنك انتقيت كل ضحية من مدينة ما، يتم تغييرها في كل مرة، فلن يثير هذا الاهتمام نفسه.

انعقد حاجبا (عابد) لحظات في شدة، ثم أشار إلى الدكتور (نشأت)، وهو يقول في حسم:

- هذا صحيح.

حمل هاتفه الخاص، يهم بمغادرة المكان، فسأله الدكتور (نشأت) في اهتمام:

- وماذا عن (يزبك) هذا؟!

توقَّف (عابد)، بعد أن فتح الباب بالفعل، ثم استدار إليه، مجيباً في حزم:

- لست أظننا سنعثر عليه أبداً.

تساءل الدكتور (نشأت) في لهفة:

- أتعني أنه قد غادر البلاد، أم أنه كان ينتحل اسماً وهيئة يخالفان حقيقته؟!

أشار إليه (عابد) بسبَّابته، دون أن يجيب، وارتسمت على شفتيه

ابتسامة شاحبة، قبل أن يغلق الباب، تاركاً الدكتور (نشأت) خلفه، يطرح على نفسه ألف سؤال وسؤال...

على الأقل...

• • •

فجأة، استيقظ ذلك الرجل...

ولكن عقله لم يستيقظ بالسرعة نفسها...

كان مشوشاً إلى حد كبير، إلا أنه يذكر أمراً أخيراً...

الانحناء لاستبدال إطار السيارة، وذلك الأنيق من خلفه، يغرز ذلك المحقن فى عنقه...

هذا كل ما تذكّره فى هذه اللحظة...

وعبر عينيه المشوّشتين، لمح ظلاً أبيض يتحرّك...

وفى صعوبة، تمتم:

- أين أنا؟!

استدار إليه ذلك الظل الأبيض...

وراحت ملامحه تتضح رويداً رويداً...

إنه نفس ذلك الانيق الوقور، الذى باغته بالمحقن المخدّر...

نفس الوجه النحيل، والملامح الهادئة الوقورة..

مع منظار طبى، له إطار من الذهب...

الفارق الوحيد، أنه كان يرتدى معطفاً يشبه معاطف الاطباء، ولكن تلوّثه بقعاً باهتة، من ألوان مختلفة....

أما المكان، فكان قبواً عارى الجدران، احتشد بمجموعة عجيبة

من الأجهزة والآلات...

ولما لم يتلق الرجل رداً على سؤاله، حاول أن ينهض من مكانه...

وعندئذ بدأ الرعب...

لقد فوجئ بانه مقيّد فى إحكام، إلى ما يشبه منضدة جراحية، وإلى جواره آلة مخيفة، أشبه بتلك المقصلة، التى استخدمها الغوغاء، فى الثورة الفرنسية؛ لقطع اعناق النبلاء...

وفى هدوء رصين، اقترب منه ذلك النحيل الانيق، ودفع الجهاز الشبيه بالمقصلة، إلى ما فوق عنقه مباشرة...

وبكل الرعب، صرخ الرجل:

- ماذا ستفعل؟!

رمقه النحيل بنظرة لا مبالية، ثم دار خلف رأسه، مما أشعره بتوتر بالغ، جعله يصرخ:

- النجدة... هذا الرجل مجنون.

وهنا فقط، قال النحيل الوقور فى هدوء:

- لن يسمعك أحد هنا.

شعر الرجل بشئ يلتصق، وبملمس معدنى مخيف فى منتصف الرأس، فهتف:

- ماذا ستفعل؟!... ماذا ستفعل؟!

سمع صوت دوران شئ، أشبه بمثقاب كهربى، فصرخ والرعب يملأ كل ملامحه:

- أنت مجنون.

أجابه الوقور بنفس الهدوء:

- لست بالذكاء الكافى لتفهم.

تصاعد الألم فى رأس الرجل، وأدرك أن ذلك المثقاب يحفر جمجمته، فراح يصرخ...

ويصرخ...

ويصرخ...

ثم فجأة، زال الألم...

وتراجع ذلك المثقاب، مع الصوت الهادئ الوقور:

- المفترض ألا يشعرك هذا بالألم، مادام لم يمس خلايا مخك.

تضاعف الرعب فى ملامح الرجل، وبكى فى انهيار، وهو يقول:

- ماذا ستفعل بى بالله عليك؟!

قال الوقور فى هدوء:

- لست أريد سوى....

صمت لحظة، قبل أن يضيف فى حزم:

- مخك.

ومع كلمته، ارتفع صوت أشبه بصوت شفاط مكنسة كهربائية قوية.... وبدأ الرجل صرخة رعب هائلة...

ثم تجمدت ملامحه، التى تحمل كل الرعب...

وعبر أنبوب شفاف، شفط ذلك الجهاز خلايا مخه، إلى وعاء كبير، يمتلئ بسائل رائق، يميل إلى اللون الوردى...

وفور انتهاء الجهاز، من شفط آخر خلية، من خلايا مخ الرجل،

جذب الوقور ذراعاً صغيرة، فانفلت نصل المقصلة، وهوى على عنق الرجل...

بلا رحمة...

• • •

" غير حقيقى؟!... "..

هتف الملازم (سعيد) بالكلمة فى دهشة، وهو يواجه المقدم (عابد)، الذى أشعل سيجارته، محاولاً أن يطفئ مع نارها توتره، قائلاً:

- راجع معى الوصف... شخص ممتلئ، له شارب ضخم، ويتحدث بلهجة لبنانية.... ألا تبدو لك صورة تنكرية مثالية؟!

ظلت ملامح (سعيد) محتفظة بدهشتها لحظات، قبل أن يقول فى حذر:

- أتعنى يا سيادة المقدم، إنه شخص ينتحل هوية أخرى.

أشار (عابد) بسبابته، وهو ينفث دخان سيجارته فى عمق، قبل أن يقول:

- راجع كل ما لدينا عن (يزبك) هذا.... المحامية (مروة)، المسئولة عن تأجير الفيلا فى رحلة عمرة، ومع (ناجى) يستسلم لكل من يخبره أنه استأجر الفيلا.

قال (سعيد) فى سرعة:

- ولكن (مروة) تبلغه هاتفياً.

هز (عابد) كتفيه، وقال:

- الرجل أبسط من أن يحاول التدقيق فى الأمر... وأية أخرى،

تحاول تقليد صوت (مروة) هذه، يمكن أن تخدعه.

انعقد حاجبا (سعيد)، وهو يتساءل:

- أيعنى هذا تبرئة (مروة).

أشار (عابد) بسبَّابته، قائلاً:

- إننا حتى لم نستجوبها بعد.

ثم أكمل، وهو يواصل تدخين سيجارته:

- دعنا نتخيَّل أن شخصاً وضع قطعتى مطاط، على جانبى فمه من الداخل، بحيث يبدو وجهه منتفخاً، ووضع على هذا الوجه شارباً ضخماً، وتحدَّث بلهجة لبنانية، مع بستانى بسيط، ألا تعتقد أنه سيستطيع قضاء بعض الوقت فى الفيلا، قبل أن ينتبه أحد إلى خدعته؟!

أدار (سعيد) الأمر فى رأسه لحظات، ثم غمغم:

- هذا يعنى أننا نسعى خلف رجل، لا وجود له.

أجابه (عابد) فى حسم:

- بالضبط.... نسعى وراء صورة وهمية، صنعها لنفسه، وترك عم (ناجى) ينقلها لنا.

عاد (سعيد) إلى تفكيره لحظات، قبل أن يتساءل:

- ولكن لماذا؟!.... ليدفن تلك الرءوس فى حديقة الفيلا فحسب؟!... ألم يكن من الأسهل ان يدفنها فى منطقة صحراوية، بدلاً من حديقة معتنى بها؟!

انعقد حاجبا (عابد)، وهو يسحب نفساً عميقاً من سيجارته، ثم قال فى تفكير متوتر:

- الأعجب أنه دفن صندوق الرءوس على عمق مترين فحسب، وليس على عمق يضمن عدم العثور عليها.

سأله (سعيد) بأنفاس مبهورة:

- هل تعتقد أنه وضعها هناك لنعثر عليها، يا سيادة المقدَّم؟!

لم يجب (عابد) على الفور، وانما واصل التدخين لحظات فى توتر، قبل أن يغمغم، فى شئ من الغضب:

- والأسمنت المخلوط بالدم فى القبو... نعم... لقد فعل كل هذا حتى نكشفه.

خيِّل للملازم (سعيد) أنه لم يفهم أو يستوعب، فمال إلى الامام، متسائلاً فى حذر:

- ماذا؟!

التفت إليه (عابد) فى حركة حادة، وهو يطفئ سيجارته، قائلاً:

- إنه يعبث بنا.

انعقد حاجبا الملازم (سعيد) فى شدة، دون أى تعليق، فتابع (عابد)، فى شئ من الغضب:

- إنه يختبر ذكاءه، فى مواجهة ذكائنا.

اعتدل (سعيد)، مغمغماً فى دهشة:

- أهذا ممكن؟!

لم يجب (عابد) تساؤله، وانما قال فى توتر:

- الدكتور (نشأت) كان على حق.

مال (سعيد) برأسه فى تساؤل، فالتفت إليه (عابد)، مكملاً فى

صرامة عصبية:

- لابد من استشارة طبيب نفسى... طبيب لديه خبرة قديمة، فى علم النفس الإجرامى.

وفى هذه المرة، لم ينطق الملاوم (سعيد) بحرف...

أى حرف...

• • •

فى صمت مخيف، جلس ذلك النحيل الوقور، يراقب آلاته تعمل...

كانت إحدى الآلات قد هرست خلايا المخ البشرى، الذى شفطه من رأس ضحيته الأخيرة، ثم راحت تديره فى سرعة، مثل خلاط مطبخ كبير، وتضيف إليه طوال الوقت بعض السوائل المجهولة، ذات الالوان المختلفة...

سائل سماوى اللون...

وسائل أخضر...

وآخر أزرق...

وأخيراً ذلك السائل الوردى..

وكل هذا كان يمتزج بخلايا المخ، داخل ذلك الخلاط الكبير...

وكان تألق عينى النحيل الوقور، يوحى بأن كل شئ يسير على ما يرام...

بالنسبة إليه على الأقل...

وبعد نصف ساعة متصلة من الخلط، تحوّل ذلك المزيج إلى سائل كثيف القوام نوعاً ما...

وبضغطة زر، بدأت عملية ضغط ذلك السائل، وتصفيته عبر مصفاة طبية دقيقة...

ومع التصفية، تحوّل المزيج إلى قوام قرمزى ثقيل، يتقاطر منه سائل أرجوانى اللون، امتزج بآخر عنبرى، فى أعماق قنينة كبيرة؛ ليكتسب المزيج لوناً أقرب إلى اللون الفيروزى، عبر أنابيب دقيقة، ليملأ قنينة صغيرة، أشبه بقنينة (بنسلين) عادية...

ثم ثانية...

وثالثة...

ورابعة...

وفى صبر وهدوء، وبنفس العينين المتألقتين، تابع النحيل الوقور ما يحدث، حتى حصل فى النهاية على خمس قنينات، قامت آلة أخرى بختمها فى إحكام...

وفى لهفة، جذب هو قنينة منها، ودس إبرة محقن فارغ فى فوهتها المطاطية، وسحب خمسة سنتيمترات من ذلك السائل الفيروزى، وكشف ذرعه، ليحقن السائل فى وريده الساعدى، حتى أخر نقطة، وهو يغلق عينيه فى استمتاع عجيب...

وعندما فتح عينيه، كانتا تتألقان على نحو أكثر بريقاً...

وفى حيوية عجيبة، نهض يلتقط القنينات الأخرى، ويضعها فى براد صغير، فى ركن معمله المخيف...

وفى طريقه، ارتطمت قدمه بالرأس المقطوع، فركله بعيداً عنه فى لامبالاة، ثم التقط نفساً عميقاً، وتطلع إلى الجثة مقطوعة الرأس، ثم فرد امامه صورة متوسطة الحجم، وابتسم فى تحد وسخرية...

وكانت صورة ضابط شرطة مصرى...
ضابط يدعى (عابد)...
(عابد شوقى)....

● ● ●

بمنتهى الشك والحذر، تطلع الدكتور (وليد الرخاوى) إلى المقدم (عابد) ثم نقل بصره، فى حذر أكثر، إلى الملازم (سعيد)، قبل أن يتساءل:

- أما تصفاه جريمة حقيقة، أم جزءًا من رواية سينمائية جديدة؟!

بدا الاستنكار على وجه الملازم (سعيد)، فى حين أجاب (عابد) فى هدوء تام:

- المشكلة أنها ليست جريمة، بل سلسلة جرائم حقيقية يا دكتور (وليد).

حدّق فيه الدكتور (وليد) لحظات أخرى، ثم هز رأسه، قائلاً:

- رباه!.. لقد تخصصت فى علم النفس الجنائى، لأكثر من عشرين عاماً، وشاهدت وعاينت ما تصوّرت أنه يشيب لهوله الولدان، وعلى الرغم من هذا، فما سمعته منكما هو أبشع ما سمعته فى حياتى كلها.

صمت لحظة، ثم لوّح بكفيه، مضيفاً فى انفعال:

- حتى فى أفلام الرعب، لا يمكنك أن تعرض هذه البشاعات.

غمغم الملازم (سعيد):

- المشكلة أن هذا يحدث فى عالم الواقع.

أومأ الدكتور (وليد) برأسه متفهماً، وقال:

- وهذا أبشع ما فيه.

مال (عابد) نحوه، قائلاً فى صرامة:

- وهذا ما أتينا لك من أجله... ان ترشدنا إلى كيفية التعامل مع قاتل متسلسل كهذا.

تراجع الدكتور (وليد) فى مقعده، وشبّك أصابع كفيه أمام وجهه، وهو يقول:

- القاتل الذى تبحثون عنه شديد الغرور، والاعتداد بنفسه، وهو شخصية سيكوباتية، لا تبالى باى شئ، فى سبيل متعتها ونزواتها... وهو شخص على درجة كبيرة من التعليم والمعرفة، ولديه دراية بالعلم والعلوم، وهو فى الوقت نفسه يعانى من لمحة من البارانويا... الزهو بالذات، مع الشعور بعدم احترام الآخرين أو ادراكهم لذاته؛ لذا فهو يتحدّى جهاز الشرطة كله؛ لكى يثبت لنفسه أنه الأكثر ذكاءً، ويلقى دلائل جرائمه امامكم، كوسيلة للتحدّى، ولإثبات أنه المسيطر على سير الامور.

غمغم (عابد) فى غضب:

- إذن هو يظن أنه أكثر ذكاءً وبراعة منا.

أشار الدكتور (وليد) بيده، قائلاً فى حسم:

- بل هو يؤمن أنه كذلك.

تبادل (عابد) و(سعيد) نظرة متوترة، قبل أن يسأل الأوّل فى صرامة، لم تخل من نبرة توتر واضحة:

- وماذا لو أننا أثبتنا له العكس؟!

هزّ الدكتور (وليد) رأسه، قائلاً:

- لن يكون هذا سهلاً؛ لأنه يبدأ الخطوة الاولى دوماً.

همّ (عابد) بقول شئ ما، عندما ارتفع رنين هاتفه المحمول، فالتقطه فى سرعة، وهو يشير للدكتور (وليد) بيده الثانية، قائلاً:

- معذرة.

ضغط زر الاستجابة، وهو يضيف فى صرامة:

- ماذا هناك؟!

وانعقد حاجبا الدكتور (وليد) فى شدة، فى حين تحرك (سعيد) على مقعده فى توتر، فقد كان من الواضح، على ملامح (عابد)، أنه يتلقى صدمة...

صدمة عنيفة...

للغاية.

• • •

الفصل الرابع

أغلق الملازم (سعيد) عينيه، وهو يشيح بوجهه فى اشمئزاز، محاولاً التغلّب على ذلك الشعور بالانقباض فى معدته، على الرغم من أن الصورة، التى صنعت به كل هذا، لم يكن من السهل أبداً أن تنمحى من ذاكرته...

أما المقدّم (عابد) فقد بدا جامداً، سلبى المشاعر، وهو يقف أمام ذلك الصندوق، الموضوع على سطح مكتبه، والذى حوى ذلك الشئ البشع...

رأس آدمى، انحفرت على ملامحه كل علامات الرعب والألم...

وفى قمة رأسه فجوة، تماثل تماماً تلك التى رآها فى الرءوس الاخرى...

ولقد ساد صمت رهيب الحجرة، وكل من فيها لا يجرؤ على نطق حرف واحد، حتى استنفر (عابد) كل إراداته، وقال فى صوت، أراده قوياً صارماً، إلا أنه خرج من بين شفتيه متوتراً عصبياً:

- من أحضر هذا؟!

تبادل جندى الحراسة نظرة مرتاعة، مع امين الشرطة، المسئول عن أمن الطابق، فغمغم هذا الأخير:

- الواقع أننا لسنا ندرى يا سيادة المقدّم.

صاح به (عابد) فى غضب:

- لستم تدرون؟!... أى قول أحمق هذا.... صندوق بهذا الحجم، يصل إلى مكتبى، والمسئولان عن حراسة الطابق لا يدريان كيف وصل!!

تبادل الرجلان نظرة أكثر ارتياعاً، قبل أن يغمغم الجندى، فى

صوت مختنق:

- الواقع أننا نعلم كيف وصل إلى مكتبك يا سيادة المقدم، ولكننا نجهل من أحضره.

لم يحاول الملازم (سعيد) إلقاء سؤال واحد، وكأنما يخشى أن يفتح شفتيه، فتقفز معدته خارج فمه، فى حين قال (عابد) فى حدة:

- أيوجد تفسير لهذا؟!

اندفع أمين الشرطة يقول، فى صوت مضطرب مرتجف:

- هناك أمين شرطة جاء بالصندوق إلى المديرية، وأخبر أمن المبنى أنه طعام، أرسلته لك زوجة سيادتك، بناءً على طلبك، وعندما تم تمرير الصندوق عبر البوّابة الأليكترونية، لم يصدر عنها ما يشير إلى وجود أية معادن داخله، ولهذا مر أمين الشرطة والصندوق.

قال (عابد) فى غضب:

- وتم هذا دون تمرير الصندوق أمام شاشة الفحص، أو التأكُّد من هوية أمين الشرطة.

تبادل الرجلان نظرة مرتاعة أخرى، قبل أن يغمغم أمين الشرطة:

- لقد مرَّ عبر البوّابة الأليكترونية، وهو يحمل الصندوق، ولم...

قاطعه (عابد) فى حنق:

- وسلمكما إياه، وطلب منكما وضعه على مكتبى.

لم يجب أى من الرجلين، فمال نحوهما، يسألهما فى صرامة غاضبة:

- وكيف ومتى علمتما ما يحويه بالفعل؟!

أجاب الجندى هذه المرة، فى صوت مرتجف:

- اردت أن أنظف المكتب، قبل وصول سيادتك، وفوجئت بدم يسيل من الصندوق، وخشيت أن يكون هناك ما انسكب داخله، فقمت بفتحه، و...

شعر الرجل بغصة فى حلقه، وهو يعجز عن وصف ما شعر به فى تلك اللحظة، عندما فوجئ بمحتويات الصندوق....

ومرة أخرى، ساد صمت رهيب داخل مكتب (عابد)، قبل أن يقطعه هو ثانية، قائلاً فى صرامة:

- أرسل رجال الأدلة الجنائية؛ لرفع البصمات عن الصندوق، وقم بكل إجراءات نقله إلى الطب الشرعة فوراً.

أدى الرجلان التحية العسكرية، واندفعا لتنفيذ الأمر، فى حين جلس (عابد) خلف مكتبه، وهو يقول فى حدة:

- ألم أقل لك: إنه يتحدانا.

بذل الملازم (سعيد) جهداًكبيراً، ليفتح شفتيه، مجيباً:

- إنه قاتل بشع.

أشار (عابد) إلى الصنودق، قائلاً فى غضب:

- وشديد الجرأة والثقة بالنفس أيضاً... لقد أتى بنفسه إلى مديرية الامن، التى يبحث كل ضابط فيها عنه؛ ليضع رأس ضحيته الجديدة على مكتبى.

غمغم (سعيد) فى صعوبة:

- معلوماتى عن الطب الشرعى محدودة، ولكن هذا الرأس يبدو حديث القطع.

وافقه (عابد) بإشارة من يده، قائلاً:

- أخبرتك أنه يتحدانا.

ثم التقط سمّاعة الهاتف، فسأله (سعيد) مغمغماً:

- هل تتصل سيادتك بالدكتور (نشأت)؟!

هزّ (عابد) رأسه، مجيباً فى صرامة:

- بل بالدكتور (وليد)... أريد تفسيراً لهذا الفعل السادى المريض.

" إنها لعبة..... ... "

هكذا أجابه الدكتور (وليد الرخاوى)، بعد أن استمع إليه، فقال (عابد) فى عصبية مستنكرة:

- لعبة؟!... أقول لك: إنه وضع رأساً مقطوعاً على مكتبى!!

اجابه الدكتور (وليد) فى هدوء:

- وهذه هى اللعبة... إنه يختبر ذكائه، فى مواجهة جهاز الشرطة كله.... ولكن اللعبة لا تكون ممتعة، إلا فى وجود لاعب منافس، على قدر مقارب من الذكاء.

سأله (عابد) فى عصبية، عبر الهاتف:

- ومن تقصد باللعب المنافس؟!

أجابه على الفور:

- أنت أيها المقدّم.... وفق ما أخبرتنى به، وما أخبرنى به الدكتور (نشأت) عنك، فانت لم تخسر قضية واحدة فى فترة عملك كلها، حتى أنهم يلقبونك فى وزارة الداخلية بلقب (هولمز مصر)، نسبة إلى

شخصية (شيرلوك هولمز)، التى ابتكرها المبدع (أرثر كونان دويل)، و....

قاطعه (عابد) فى حدة:

- هل يمكنك إعفائى، من هذه الفذلكة الأدبية التاريخية.

صمت الدكتور (وليد) لحظات، وكأنما لم يرق له هذا، ثم تابع فى لهجة علمية جافة:

- لقد وقع اختياره عليك، لتصبح الخصم المنافس والمناسب فى لعبته.

هتف (عابد):

- لعبة حقيرة بشعة.

أجابه الدكتور (وليد) فى حزم:

- ولكنها بالنسبة لشخصية سادية سيكوباتية مثله، مجرّد لعبة، يضع هو قواعدها، ويحدّد مسارها، ويختار خصمه فيها.

هم (عابد) بقول شئ ما، ولكن الدكتور (وليد) أردف فى صرامة:

- ولن يقبل الخسارة أبداً.

قال (عابد) فى صرامة أكثر:

- مادامت لعبة، فعليه أن يقبل الحالتين.... الربح أو الخسارة.

أجاب الدكتور (وليد)، فى هدوء مستفز:

- لا تنسى أنه هو من يقود اللعبة، ومن يحدّد مسارها... ومن يضع قواعدها أبداً.... والأسوأ أنه هو من يملك تغيير تلك القواعد وقتما يشاء، وحسبما تسير الامور، بحيث يحيل كل خطوة خسارة إلى

لمحة نصر.

قال (عابد) فى حدة:

- حتى أضم رأسه لمجموعته.

ثم انهى الاتصال فى عصبية، وهو يقول فى حدة مستنكرة:

- لعبة؟!... اى تحليل سخيف هذا؟!

مع آخر كلماته، وصل رجال الأدلة الجنائية، وبدا مزيج من الرعب و الاشمئزاز على وجوههم، وهم يحدّقون فى الرأس المقطوع داخل الصندوق، فنهض (عابد) من خلف مكتبه، وهو يقول فى صرامة:

- الرأس سيتسلمُها الطب الشرعى بعد قليل، أما الصندوق، فأريد كل بصمة عليه.

تردّد رجال الادلة الجنائية لحظات، ثم قاوموا اشمئزازهم، وبدأوا فى جمع العينات ورفع البصمات عن الصندوق، فسألهم الملازم (سعيد) فى خفوت:

- كم سيستغرق تحديد البصمات؟!

أجابه أحدهم:

- لقد أرسلوا سيارة الادلة الجنائية المجهزّة بالادوات اللازمة، وهى تقف أمام الوزارة، ويمكنها فحص البصمات واخراج النتيجة خلال دقائق.

غمغم (سعيد):

- عظيم.

غمغم بها، وهو يتابع المقدّم (عابد) الذى اندفع خارج المكان، ونادى جندى الحراسة وأمين الشرطة، قائلاً لهما فى صرامة:

- هل يمكننا أن تصفا أمين الشرطة الزائف هذا؟!

أجابه أمين الشرطة فى سرعة:

- شخص عادى جداً.... يميل إلى النحول، وله شارب ضخم، وحاجبين كثين، وصوته مبحوح بعض الشئ.

التقط (عابد) نفساً عميقاً، فى محاولة لتهدئة أعصابه، وغمغم فى توتر ملحوظ:

- شارب ضخم، وحاجبان كثان!!... من الواضح أنه يعشق التنكر.

مع نهاية قوله، خرج أحد الفنيين من الأدلة الجنائية، وهو يقول مضطرباً:

- هناك بصمة عجيبة، عثرنا عليها على الصندوق، يا سيادة المقدّم.

التفت إليه (عابد)، يقول فى صرامة:

- ألن ترسلوها إلى سيارة الأدلة الجنائية أولاً؟!..

لم يحاول الرجل إجابة سؤاله، وانما رفع أمامه تلك البصمة، التى تم نقلها إلى مربع لاصق شفاف، وهو يغمغم:

- إنها واضحة للغاية يا سيادة المقدّم.

تطلّع (عابد) إلى تلك البصمة، ثم سرت فى جسده قشعريرة باردة، كثلوج القطب الجنوبى...

فما رآه أمامه كان مذهلاً، ومخيفاً....

إلى درجة مستحيلة...

تماماً...

• • •

ابتسامة كبيرة، ملئت ذلك الوجه المنتفخ، لعامل التوصيل، ذى الشارب الضخم، الشبيه بشوارب بشوات ما قبل يوليو 1952م، وهو يمد يده بصندوق متوسِّط الحجم، للسيدة (جميلة)، زوجة المقدَّم (عابد)، قائلاً فى لهجة مهذبة:

– مساء الخير يا سيدتى... انا (يزيك)، من دار المستقبل المصرية اللبنانية، وهذا طرد خاص لسيادة المقدَّم (عابد شوقى)...

تطلَّعت إليه (جميلة) فى دهشة، قبل أن تقول فى حذر:

– وما الذى يحويه هذا الطرد؟!

اتسعت ابتسامة الرجل، وهو يجيب، بنفس اللهجة المهذبة:

– سيدتى... انا مجرَّد عامل توصيل، ولست أدرى حقاً ما يحويه هذا الطرد... كل ما أعرفه أنه هدية من الدار لسيادة المقدَّم.

تطلَّعت اليه (جميلة)، فى شك حذر، وراحت تفحصه، من قمة رأسه، وحتى أخمص قدميه...

كان يبدو أنيقاً نظيفاً، بشعره الناعم اللامع المصفَّف فى عناية، وعينيه الزرقاوين، وشاربه الضخم أكثر من اللازم...

ثم هذا الزى الخاص...

الزى الذى يحمل اسم وشعار الدار، التى أشار إليها...

أما ابتسامته، فلم تفارق وجهه قط...

ولوهلة، همت باستلام الطرد منه، ثم لم تلبث أن تذكرت تحذير

زوجها، من ألا تتسلَّم شيئاً، لم يخبرها به، فتراجعت يداها، وهى تقول فى صرامة:

– لا يمكننى استلام شئ، دون أن أسأل (عابد) أوَّلاً .

حافظ الرجل على ابتسامته، وهو يقول:

– لا بأس يا سيدتى... افعلى.

مالت جانباً، وهى تخرج هاتفها المحمول، وتطلب رقم (عابد)...

والعجيب أنها لم تكد تسمع الرنين على الجانب الآخر، حتى أجابها (عابد) فى لهفة متوترة، صائحاً:

– (جميلة)... أأنت بخير؟!

قالت فى دهشة:

– نعم يا (عابد)، ولكن لماذا أنت منفعل على هذا النحو؟!

صاح فى عصبية:

– لا تجيبى سؤالى بسؤال... ماذا عن (أحمد)؟!.... هل عاد من مدرسته؟!

غمغمت فى حيرة متوترة:

– (أحمد) بخير، عاد، وتناول طعام الغداء، وهو نائم الآن.

هتف بها:

– ما سر اتصالك إذن؟!

أجابته فى حدة لم تتعمدها:

– كنت أسألك، بشأن الطرد الذى وصلك.

صاح بها:

- أى طرد؟!

لم تفهم سر توتره الشديد هذا، فأجابته فى حدة أكثر:

- ماذا هناك يا (عابد)؟!... إنه مجرد طرد، أرسلته لك دار المستقبل المصرية اللبنانية، مع الأستاذ (يزبك)، و...

قاطعها صارخاً:

- (يزبك)؟!... يا إلهى!... أغلقى الباب فوراً يا (جميلة)... أغلقى الباب فى وجهه، ولا تتسلمى منه أية طرود... هل تسمعيننى؟!... أنا فى طريقى إليك....أغلقى الباب، ولا تتسلمى شيئاً.

أصابها صراخه وأصابتها كلماته بالرعب، فاستدارت لتغلق الباب فى سرعة، ولكنها فوجئت بأن الرجل قد اختفى، تاركاً ذلك الطرد على الأرض، فأسرعت تغلق الباب، دون أن تدخل الطرد، وصاحت عبر الهاتف:

- لقد انصرف تاركاً الطرد... ماذا يحدث يا (عابد)؟!... ماذا يحدث؟!

هتف:

- أنا على بعد شارع واحد من المنزل... أغلقى الباب فى إحكام حتى أصل.... افعلى فوراً يا جميلة.

بكت دون أن تدرى، وهى تقول:

- لقد فعلت يا (عابد)... لقد فعلت.

ثم انهمرت الدموع من عينيها...

وفى غزارة...

• • •

"أهذا كل ما حدث؟!...."...

ألقى مدير الأمن السؤال على الملازم (سعيد) فى صرامة، فشد هذا الأخير قامته، وهو يجيب:

- ما قلته ستؤيده الادلة الجنائية يا سيادة اللواء... فالبصمات التى تم العثور عليها على الصندوق، كانت بصمات جندى الحراسة وأمين الشرطة، وبصمة أخرى واضحة، للشخص الذى انتحل صفة أمين شرطة، وجاء بالصندوق إلى المديرية.

ازداد انعقاد حاجبى مدير الأمن، وهو يقول:

- وكانت كما وصفتها؟!

أومأ (سعيد) برأسه إيجاباً، وقال:

- من الواضح أن ذلك المنتحل كان يضع على أنامله قطعاً مطاطية صناعية، أخفت بصماته الحقيقة، وتركت رسماً يشبه البصمة، كتب عليه عنوان بخط دقيق.

تمتم مدير الأمن، على الرغم من أنه قد سمع هذا مسبقاً:

- عنوان؟!

شدَّ (سعيد) قامته مرة أخرى، وهو يجيب:

- عنوان منزل سيادة المقدَّم (عابد).

التقط مدير الأمن نفساً عميقاً، وقال فى حزم:

- لهذا غادر المديرية كالصاروخ؟!

أجاب (سعيد):

- العنوان الدقيق على البصمة، كان نوعاً من التهديد والتحذير يا سيادة اللواء؛ فذلك السفاح كان يخبره أنه يعلم أين يقيم.

استغرق مدير الامن فى التفكير لحظات، ثم قال فى بطء:

- أو أنه يعلم أين يمكن أن يجد زوجته وابنه.

ثم اعتدل، والتقط سمّاعة الهاتف، متابعاً فى حزم:

- سارسل فوراً دعماً كاملاً؛ لتأمين منزل المقدّم (عابد)، والمنطقة التى يعيش فيها كلها.

كان قد بدأ اتصاله، عندما ارتفع رنين هاتف الملازم (سعيد)، الذى تطلّع إلى مدير الامن، وكأنه يستأذنه الرد، فأشار إليه اللواء بالإيجاب، مما جعله يرفع الهاتف إلى أذنيه فى سرعة، قائلاً:

- أمرك يا سيادة المقدّم.

ارتفع حاجباه؛ فى دهشة لما يسمعه، فسأله مدير الأمن فى توتر:

- ماذا استجد فى الأمر؟!

خفض الملازم (سعيد) هاتفه، وهو يجيب مدير الأمن فى توتر:

- سيادة المقدّم لا يريد دعماً فحسب، ولكنه يطلب فرقة خبراء مفرقعات أيضاً يا سيادة اللواء.

وازداد انعقاد حاجبى مدير الأمن فى شدة...

فهذا تطوّر لم يتوّقعه...

أبداً...

• • •

احتضنت (جميلة) ابنها (أحمد) فى رعب، وهى تراقب خبراء المفرقعات، الذين التفوا حول ذلك الطرد، فى حين جذبها (عابد) جانباً، وهو يقول فى توتر:

- دعينا نبتعد عن هنا، ونتركهم يمارسون عملهم.

قالت فى ارتياع، وهى تسلم قيادها له:

- هل... هل يمكن أن يحوى الطرد قنبلة بالفعل؟!

دفعها أمامه، حتى أبعد نقطة عن موضع الطرد، وهو يجيب فى عصبية:

- إنه إجراء احترازى.

أغلق الباب الأخير خلفهما فى إحكام، وهو يسألها:

- كيف يبدو (يزبك) هذا؟!

أجابت بكل توترها:

- متوسط الطول، يميل إلى النحول، ولكنه منتفخ الخدّين، له شارب أضخم مما ينبغى، ويتحدّث بلكنة لبنانية... وكان يرتدى زياً يحمل شعار الدار.

غمغم (عابد) فى مقت:

- ذلك الحقير.

عادت تكرّر فى رعب:

- أهى قنبلة؟!

أجاب فى عصبية:

- لم نعرف بعد.

ثم أخرج من جيبه نسخة من ذلك الرسم، الذى صنعه رسّام الشرطة، بناءً على وصف عم (ناجى)، وسألها:

- أيشبه هذا الرسم؟!

أجابت فى سرعة:

- لا يشبهه.

ثم استدركت فى سرعة عصبية:

- إنه هو.

غمغم (عابد) فى توتر:

- هو؟!

هتفت:

- لا يمكننى أن أنساه، بعدما ارتبط بمرآه من رعب.

كن يهم بقول شئ ما، عندما دق أحدهم باب الحجرة، فأسرع يفتحه، متسائلاً:

- ماذا هناك؟!

أجابه أحد خبراء المفرقعات:

- ليست قنبلة.

تنفسّت (جميلة) الصعداء، وعادت تحتضن ابنها، الذى أصابه الذعر لما يحدث، دون أن يفهم أو يستوعب شيئاً، فى حين تساءل (عابد) فى توتر:

- ما الذى يحويه إذن؟!

تردّد خبير المفرقعات لحظات، ثم قال:

- الأفضل أن ترى بنفسك، يا سيادة المقدُم.

تبعه (عابد) فى سرعة إلى الخارج، ثم انحنى يلقى نظرة على الطرد المفتوح، قبل أن ينعقد حاجباه فى شدة...

فما حواه الطرد لم يكن شيئاً طبيعياً...

على الإطلاق.

• • •

الفصل الخامس

" ما الذى كان ذلك الصندوق يحويه؟!.... .. "

ألقى الملازم (سعيد) السؤال فى لهفة قلقة، فلوّح (عابد) بيده، مجيباً فى عصبية:

- لغز جديد.

أطلّ سؤال حائر من عينى (سعيد)، فتابع (عابد) فى غضب:

- تحدّ جديد.... مجموعة من الدمى.

اعتدل (سعيد) فى دهشة متوترة، مغمغماً:

- دمى؟!

أضاف (عابد) فى حدة:

- بلا رءوس.

تراجع (سعيد) كالمصعوق، وهو يهتف فى صوت خافت:

- وما الذى يعنيه هذا؟!

زفر (عابد) فى عصبية، قبل أن يجيب:

- الرءوس كلها كانت موضوعة فى صندوق آخر صغير، أما الأجساد فتراكمت فى وعاء معدنى مستطيل، قاعه عبارة عن مرآة لامعة.

انعقد حاجبا (سعيد) فى شدة، وهو يغمغم:

- إنه يسخر منا.

لوّح (عابد) بسبّابته يميناً ويساراً، قبل أن يقول، وقد امتزج غضبه بعصبيته وتفكيره:

- ليست سخرية فحسب... إنها رسالة.

قبل أن يطرح (سعيد) سؤالاً، استدرك (عابد):

- بل عدة رسائل.

غمغم (سعيد):

- وصوله إلى منزلك، بهيئة واسم (يزبك)، هو رسالة تحدّ واضحة.

أشار (عابد) بسبّابته، قائلاً:

- ورسالة بأنه يستطيع الوصول إلى منزلى... وإلى زوجتى وابنى أيضاً.

تساءل (سعيد) فى اختصار مترقب:

- وماذا عن رسالة الدمى بلا رؤوس؟!

أجابه (عابد) فى حنق:

- إنه يذكرنى بأننا عثرنا على رءوس ضحاياه، ولم نعثر على أجسادهم بعد.

قال (سعيد) فى حذر:

- أو أنه يشير إلى مكان وجود الأجساد.

انعقد حاجبا (عابد) فى صمت شديد التوتر...

نعم.... هذا احتمال معقول...

بل احتمال واضح جداً...

كيف لم يخطر بباله؟!...

كيف؟!...

وفى خفوت، غمغم، وكأنه يحادث نفسه:

- الوعاء المعدنى إذن يعنى شيئاً.

قال (سعيد):

- وكذلك المرآة فى قاعة.

ران على الحجرة التى تجمعهما صمت مهيب، وكلاهما غارق فى تفكير عميق، قبل أن يقول (عابد) فى اهتمام:

- ما أقرب شبيه للمرآة، فى عالم الواقع؟!

أجابه (سعيد) فى سرعة:

- الماء.... إنه يشير إلى أنه قد ألقى الأجساد فى الماء.

هزّ (عابد) رأسه نفياً، وهو يقول فى تفكير عميق:

- مع هذا العدد من الرءوس، تصبح فكرة حمل كل جسد إلى أقرب مجرى مائى، عملية محفوفة بعشرات المخاطر.

وصمت لحظة، ثم أضاف:

- ثم لماذا الوعاء المعدنى؟!

أجاب (سعيد)، متجاوزاً السؤال الأخير:

- المخاطر تقل، لو أنه يقيم بالقرب من مجرى مائى.

التفت إليه (عابد) فى اهتمام، فتابع (سعيد):

- فى عوّامة على النيل مثلاً.

بدا الاحتمال مقبولاً إلى حد كبير، فعاد حاجبا (عابد) ينعقدان، وهو يقول:

- لو أنك أحطت كل جسد بالأثقال المناسبة، وألقيته من عوّامة فى النيل، قد لا يتم العثور عليه أبداً، وسرعان ما ستلتهم الأسماك

الأجساد.

ثم ازداد انعقاد حاجبيه، وهو يضيف:

- ولكن لماذا ليس الرءوس؟!

ولم يحر (سعيد) جواباً هذه المرة...

فربما بدت فكرته منطقية، بالنسبة للتخلّص من الأجساد...

ولكن ماذا عن الرءوس بالفعل؟!...

لماذا لم يلقها فى الماء مع الأجساد؟!...

ولماذا دفنها فى حديقة فيلا الدكتور (أكرم)؟!...

لماذا؟!...

نقل حيرته هذه إلى لسانه، وهو يقول:

- يبدو أن اللغز ليس بهذه البساطة.

غمغم (عابد) فى حنق:

- بالتأكيد.

تردد (سعيد) لحظة، ثم سأله فى حذر:

- وماذا عن (أحمد) والسيدة (جميلة)؟!

تنهّد (عابد) تنهيدة حارة، وهو يقول:

- هذه هى المشكلة الحقيقية.

ولكنهلم يجب سؤال (سعيد)...

أبداً...

• • •

شبك الدكتور (وليد الرخاوى) كفيه أمام وجهه، وهو يتطلّع إلى (عابد) و(سعيد) طويلاً، قبل أن يخفض عينيه إلى صندوق الدمى، ويمط شفتيه، مغمغماً:

- أظن أنكما استخلصتما من هذا أكثر بكثير، من كل ما كان من الممكن أن استنبطه أنا.

لم يرق هذا الجواب للمقدَّم (عابد)، الذى سأله فى حنق مكتوم:

- وماذا عن الناحية النفسية؟!

هزّ الدكتور (وليد) رأسه، مغمغماً:

- إنه سادى ولا شك.

كتم (عابد) غضبه، وهو يقول، فى شئ من الحدة:

- اخبرنى شيئاً لا أعلمه.

رمقه الدكتور (وليد) بنظرة باردة، ونقل بصره إلى (سعيد)، الذى لم ينبس ببنت شفة، منذ جاء مع رئيسه، ثم أشار بيده، قائلاً:

- إنه لن يؤذى زوجتك أو ابنك.

تراجع (عابد)، قائلاً فى ارتياح:

- حقاً؟!

ولكن الدكتور (وليد) استدرك فى حزم:

- فى الوقت الحالى.

احتقن وجه (عابد)، من شدة كتمانه لغضبه، وهو يقول:

- ومتى يتوقع أن يفعل؟!

أجابه على الفور:

- عندما تضيّق عليه الخناق.

انعقد حاجبا (عابد)، دون أن يعلق، فى حين قال (سعيد) فى اهتمام:

- ولماذا تفترض أنه لن يفعل الآن، مادام قد استطاع التوصل إليهما؟!

أشار الدكتور (وليد) بسبّابته، مجيباً:

- لأن هذا يفقد اللعبة متعتها.

اهتز جسد (عابد)، وهو يقول مستنكراً:

- لعبة؟!

أومأ الدكتور (وليد) برأسه إيجاباً، وقال:

- ربما هى بالنسبة إليك، سلسلة من الجرائم البشعة، التى يرتكبها سفاح سادى مجنون، ولكنها بالنسبة إليه لعبة... لعبة يختبر فيها ذكاءه وبراعته، فى مواجهة جهاز الشرطة، بكل إمكانياته... وبالنسبة إليه، أنت ممثل جهاز الشرطة، الذى لم يخسر قضية فى حياته، وهزيمتك ستثبت له أنه أقوى وأذكى من أقوى وأبرع لاعب، فى الفريق المناسب.

احتقن وجه (عابد) أكثر، وتساءل (سعيد):

- وما صلة زوجة سيادة المقدَّم وابنه بهذا؟!

التقط الدكتور (وليد) نفساً عميقاً، وأجاب:

- إثارة توتر المقدَّم (عابد) وغضبه، هو جزء أساسى من اللعبة.... أن تثير غضب الخصم، فيغشى بصره، ويعجز عن رؤية الحقائق، حتى ولو كانت أمام عينيه وبين أصابعه.

بدا (سعيد) شديد الاهتمام، وهو يسأل:

- ولكن أليس التخلُّص من الزوجة والابن كفيلاً بمضاعفة هذا الغضب؟!

هزَّ الدكتور (وليد) رأسه نفياً، وقال:

- بل سيفسد هذا اللعبة، ويحوِّل الأمر إلى انتقام شخصى، مما لا يناسب ما يسعى إليه.

ثم مال إلى الأمام، متابعاً:

- إنه يريدها لعبة ذكاء، وخبرة، وإمكانيات فنية... يريد لغزاً، يعجز (هولمز) المباحث الجنائية عن كشفه؛ فيلقى أوَّل هزيمة فى حياته، على يد من هو أكثر ذكاءً وبراعة، ليس منه وحده، ولكن من جهاز الشرطة كله.

هم (سعيد) بإلقاء سؤال آخر، ولكن (عابد) استوقفه بإشارة صارمة من يده، وهو يقول:

- هناك أمر واحد، يمكن أن أعدك به، يا دكتور (وليد).

تقارب حاجبا (وليد) فى تساؤل، فنهض (عابد)، مضيفاً بكل الحزم والصرامة:

- إنه لن يربح.

وغادر العيادة مع (سعيد)...

ودون كلمة إضافية...

على الإطلاق...

• • •

ارتسم الغضب على وجه بطل (مصر) فى المصارعة، عندما خرج من منزله فى الصباح الباكر، فوجد شخصاً يميل إلى النحول، يستند إلى سيارته الجديدة رباعية الدفع، وهو يرتدى حلة عمل، تلوَّث معظمها بالزيوت والشحوم، فصاح به فى حدة:

- ابتعد عن سيارتى يا هذا.

رمقه الرجل بنظرة مستهترة وابتسامة ساخرة، فأسرع نحو السيارة، وهو يكرِّر فى غضب:

- قلت لك ابتعد عن سيارتى.

حمل صوت الرجل كل استهتاره وسخريته، وهو يقول:

- وماذا إن لم أفعل؟!

احتقن وجه بطل المصارعة، وقارن بين حجمه الضخم، وعضلاته المفتولة، وقامته الفارهة، وبين ذلك الرجل شبه النحيل، الذى يقل طوله عنه بأثنى عشر سنتيمتراً على الأقل، مما أورثه ثقة إضافية، جعلته يميل على الرجل، ويتطلَّع إلى عينيه مباشرة، وهو يقول بكل غضبه:

- هل تريد أن أريك ماذا سأفعل؟!

هزَّ الرجل كتفيه فى استهتار، وتراقصت ضحكة ساخرة فى عينيه، وهو يقول:

- كلى لهفة لذلك.

ازداد احتقان وجه بطل المصارعة، وفرد قامته، فبدا كالعملاق أمام الرجل، وهو يصرخ:

- أنت تستحقها.

وبكل ما يملك من قوة، هوى على وجه الرجل بصفعة، أودعها كل غضبه، و....

واتسعت عيناه فى ذهول مصدوم، عندما تلقى الرجل الصفعة على ذراعه، فى بساطة عجيبة، جعلت بطل المصارعة يشعر وكأن راحته قد ارتطمت بعمود من الحديد...

وفى ذهول، تراجع بطل المصارعة، مغمغماً:

- مستحيل!

هزّ شبه النحيل رأسه فى هدوء، وهو يقول:

- الغرور آفة البشر.

قالها، وانقض فجأة على بطل المصارعة، الذى فوجئ ذاهلاً بالرجل يرفعه عن الأرض فى بساطة، وكأنه يحمل طفلاً صغيراً، ثم أداره فى الهواء، ليضرب رأسه بسيارته، فى قوة، تحطّم معها الرفرف الأمامى للسيارة، وتفجّرت الدماء من رأس بطل المصارعة، الذى وجد نفسه يرتفع مرة أخرى، ثم يهوى فى عنف، لترتطم رأسه بالأرض...

ومع الظلام الذى أحاط به، تناهت إلى مسامعه صرخة، استطاع عقله تمييزها...

كانت صرخة زوجته، التى أذهلها ما تراه، من شرفة منزلها، وأثار كل الرعب فى نفسها...

كانت صرخة عجيبة، وبابتسامة تحمل كل الاستمتاع، التفت إليها شبه النحيل، وتطلع إليها مباشرة، ثم حمل بطل المصارعة بجسده العملاق على كتفه، واتجه به فى هدوء نحو سيارة مينى فان، غير مبال بصرخات الزوجة المتصلة، وألقى الجسد العملاق فى خلفية المينى

فان، قبل أن يحتل مقعد القيادة، ويلقى نظرة أخرى ساخرة على الزوجة الملتاعة، ثم ينطلق بالسيارة، والزوجة تصرخ...

وتصرخ...

وتصرخ...

حتى سقطت فاقدة الوعى...

تماماً...

• • •

"هل يمكنك أن توقفى هذا الصراخ، حتى يمكننا أن نتحدّث؟!..."..

قالها المقدّم (عابد) بفراغ صبر، لزوجته (جميلة)، التى بدت شديدة الغضب، وهى تصرخ:

- نتحدّث فى ماذا؟!... لقد احتملت اهمالك لى ولابنك طويلاً، ولكن أن يصل الأمر إلى تهديد حياتى وحياة ابنى الوحيد، فهذا مالا يمكن احتماله؛ لأنه يفوق الحد.

انعقد حاجباه، وهو يقول فى غضب:

- تعلمين منذ البداية، أنك تزوّجت ضابط شرطة.

صرخت:

- المأذون لم يخبرنى أن زوجى لن يحمل عمله فحسب إلى البيت، ولكن مخاطرة أيضاً.

هتف:

- هذه أوّل مرة، يحدث فيها هذا.

صرخت فى عصبية هستيرية:

- ومن يضمن أنها ستكون آخر مرة؟!

تدخَّل والدها هذه المرة، قائلاً:

- ألا يمكنكما تأجيل هذا الحوار الغاضب، حتى تهدأ النفوس الملتهبة؟!

هتف (عابد):

- الأمر لا يحتمل التأجيل... لابد وأن أنقلهما إلى مكان آمن بأقصى سرعة.

شعر والدها بالضيق، وهو يقول:

- أليس بيت والدها آمناً؟!

أجابه (عابد)، في اندفاع غاضب:

- ليس كذلك بالطبع.

تراجع الرجل مصعوقاً، وهو يقول:

- كيف؟!

صاح (عابد)، وكأنه يكمل إجابته:

- لأنه بيت والدها...

ثم نهض في حركة حادة، مضيفاً:

- أوَّل بيت يفترض تواجدها فيه، عندما تترك بيت الزوجية.

امتقع وجه (جميلة)، وهي تقول في شحوب:

- ماذا تعني؟!

رمقها بنظرة صارمة، ثم اندفع نحو الباب، دون أن يجيب، وصفقه خلفه في قوة، فالتفتت هي بوجه ممتقع إلى والدها، تسأله:

- ماذا كان يعني؟!

وفي نفس اللحظة، التي تطلع فيها والدها إليها، بنظرة أكثر حيرة منها، كان الملازم (سعيد) يغمغم:

- لا داع للقلق يا سيادة المقدم... لقد قمت بتوريع نوبتي حراسة حول الفيلا، على نحو دائم.

قال (عابد) في حدة:

- ليست هذه هي المشكلة.

لم يجرؤ (سعيد) على سؤاله، عما يشير إليه، خاصة وأن (عابد) نفسه قد تجاوز القول، وهو يضيف:

- هل تثق كثيراً في الدكتور (وليد) هذا؟!

لميجب (سعيد)، فهزّ (عابد) شفتيه، وهو يقول:

- بعض أرائه لا تروق لي.

ابتسم (سعيد) ابتسامة مرتبكة، دون أي تعليق، فأشار (عابد) بيده، مستطرداً في حدة:

- هو نفسه لا يروق لي.

حاول (سعيد) أن يبتسم، وشعر بالارتياح الشديد، عندما ارتفع رنين هاتف(عابد)، ليعفيه من هذا الحوار، الذي لا يتفق فيه أبداً مع رئيسه...

أما (عابد)، فقد التقط الهاتف في سرعة، قائلاً:

- عم (ناجي)!!... لم أتوقع اتصالك بي، في هذه الساعة بالذات.

بدا صوت عم (ناجى) مضطرباً مرتبكاً كعادته، وهو يقول:

- سيادتك طلبت منى أن أبلغك، عندما تصل الأستاذة (مروة) إلى مكتبها.

انتبهت كل حواس (عابد)، وهو يسأله:

- أهى فى مكتبها الآن؟!

أجابه عم (ناجى) مرتبكاً:

- وصلت منذ قليل سيادتك.

أنهى (عابد) الاتصال، وقال فى حزم، وهو يميل بسيارته، ليتجه بها إلى (المعادى) القديمة، حيث مكتب المحامية (مروة)، المسئولة عن تأجير ومتابعة فيلا الدكتور (أكرم حمدى)، وقال فى شئ من الحماس:

- أخيراً عادت تلك المحامية، التى يمكن أن تدلنا عمن ينتحل اسم (يزبك) هذا.

لم تمض نصف الساعة على قوله هذا، حتى كان كلاهما فى مكتب المحامية (مروة)، التى بدت أكثر شباباً وجمالاً مما توقعا، والتى استقبلتهما فى حذر وقلق، وهى تقول:

- وما شأن البحث الجنائى بى؟!... أنتما تعلمان أنه من غير القانونى تفتيش مكاتب المحاماة، أو حتى استجواب المحامين، دون الحصول على إذن من...

قاطعها (عابد) فى صرامة:

- لسنا هنا للتفتيش أو الاستجواب... أردنا فقط أن نلقى عليك بعض الأسئلة، بشأن ما حدث فى فيلا الدكتور (أكرم حمدى).

اتسعت عيناها، فى دهشة حقيقية، وهى تقول:

- فيلا (أكرم حمدى)؟!... وماذا حدث فيها؟!

انعقد حاجبا (عابد)، فى حين سألها (سعيد):

- ألا تعلمين ما تم العثور عليه هناك؟!

بدت شديدة القلق والحذر، وهى تجيب:

- لقد عدت إلى (القاهرة) اليوم فقط، وهذه أول مرة أدخل فيها مكتبى... وأنا أتابع ما تنشره الصحف يومياً، عبر شبكة الأنترنت، ولم أقرأ حرفاً واحداً، يمس فيلا (أكرم)، من قريب أو بعيد.

أجابها (عابد):

- لقد أجلنا النشر، حتى لا نثير موجة من الفزع والرعب فى المجتمع.

عادت عيناها تتسعان، ولكن فى ارتياع هذه المرة، وهى تقول:

- إلى هذا الحد؟!

تبادل (عابد) و(سعيد) نظرة صامتة، ثم قال الأوّل فى صرامة:

- سنخبرك بكل شئ، ولكن بعد أن تخبرينا كل ما تعرفين عن (يزبك)... آخر مستأجر للفيلا.

خُيل إليها أن اتساع عينيها سيدوم أبداً، وهى تقول:

- (يزبك)؟!... لم يستأجر الفيلا أبداً شخص يحمل اسم (يزبك)... ولم يتم تأجيرها، منذ أكثر من شهرين...

وكان قولها هذا مفاجئاً لهما...

وبمنتهى العنف.

• • •

الفصل السادس

" مستحيل!!.... "...

هتف بها بطل المصارعة، قبل حتى أن يستعيد وعيه، أو يفتح عينيه، وعقله يسترجع ذلك القتال العنيف، الذى دار بينه وبين شخص نحيل، أو يميل إلى النحول، توحى ملامحه بأنه يفوقه عمراً بعشرين عاماً على الأقل...

بكل الحسابات المنطقية، كان ينبغى أن يسحق خصمه سحقاً...

ولكن ما حدث كان العكس تماماً...

لقد شعر، وهو يرتفع فى الهواء، ويهبط على رأسه، أنه يواجه قوة تفوقه بكثير...

كثير جداً...

وعلى الرغم من مرارة الهزيمة، فالذهول كان أفدح...

ألف مرة...

" هل استعدت وعيك؟!... "...

أتاه السؤال بلهجة ساخرة، وبنفس الصوت الذى سمعه من قبل، ففتح عينيه، يحدّق فى خصمه، الذى استبدل زيه المتسخ، بزى رياضى نظيف، وجلس أمامه على مقعد صغير، يحدجه بنظرة متحدية، جعلته يجيب فى عصبية:

- أهى خدعة ما؟!

هزّ ذلك الخصم كتفيه، وقال:

- ولماذا لا تعترف بأنك قد واجهت خصماً يفوقك قوة؟!

انتفض بطل المصارعة، وهو يهتف:

- أنا بطل (مصر) فى المصارعة، وهزمت أعتى المصارعين، وسوف...

قاطعه شبه النحيل فى استهتار:

- لماذا لا تعترف؟!

تصاعد الغضب فى أعماق بطل المصارعة، وقال فى عصبية، وهو يتأكّد من أنه ليس مقيّداً إلى أى شئ:

- لقد تركتنى حراً... وربما ستندم على هذا الآن.

أشار شبه النحيل بيده، قائلاً فى استخفاف:

- لست أدرى من منا سيشعر بالندم، ولكننى لم أرتد هذا الزى الرياضى، إلا لأثبت أننى قادر على هزيمة بطل المصارعة.

نهض بطل المصارعة بجسده الضخم، قائلاً فى تحد عصبى:

- هنا؟!

أشار شبه النحيل بيده، قائلاً:

- ألا يروق لك القتال بلا جمهور؟!

اتخذ بطل المصارعة وضعاً قتالياً، وهو يقول فى غضب صارم:

- أنا مستعد لسحقك فى أى مكان.

اعتدل شبه النحيل واقفاً، وهو يقول فى برود:

- المهم أن تعلم أننى إذا ما هزمتك، فلن اسحق جسدك.

ثم مال إلى الأمام، مضيفاً فى قسوة وحشية:

- بل سأشفط مخك.

انقض عليه بطل المصارعة، صارخاً:

- استعد للموت إذن.

وتصادم الخصمان فى عنف...

عنف لا مثيل له....

على الإطلاق...

• • •

حدَّق (عابد) و(سعيد) فى وجه الأستاذة (مروة) المحامية فى ذهول، قبل أن يغمغم الثانى:

- من هو (يزبك) إذن؟!

نهضت إلى دولاب ملفاتها، قائلة:

- أخبرنى أنت.

وانتزعت من بين الملفات ملفاً، وضعته أمام المقدَّم (عابد)، مضيفة:

- هنا ستجد سجلاً بكل من استأجر فيلا الدكتور (أكرم)، بعد هجرته إلى (أمريكا)... ولن تجد اسم (يزبك) فى سطر واحد منه.

قال (عابد) فى توتر:

- إذن فهو شخص استطاع خداع الجميع.

قالت فى غضب:

- إنه عم (ناجى) الأحمق هذا... لست أدرى لماذا يصرُّ الدكتور (أكرم) على عمله بالفيلا !!.... من المؤكَّد أن (يزبك) هذا، قد استغل غيابى عن (القاهرة)، وأوهمه بأنه قد استأجر الفيلا.

تبادل (عابد) و(سعيد) نظرة متوترة، ثم قال (عابد) فى حزم:

- كيف اتفقتما على إجراءات تأجير الفيلا، عندما التقيت مع الدكتور (أكرم)؟!

تراجعت فى مقعدها، مجيبة:

- الواقع أننى لم التق به أبداً.

بدت الدهشة على رجلى البحث الجنائى، و(سعيد) يسألها:

- كيف تم الاتفاق بينكما إذن؟!

أشارت بيدها، مجيبة:

- بعد هجرته إلى (أمريكا)، بما يقرب من ستة أشهر، اتصل بى الدكتور (أكرم)، وأخبرنى أنه يرى عدم وجوب ترك الفيلا خالية، مادام لن يعود قبل فترة طويلة، وأنه من الأفضل ان يتم تأجيرها؛ حتى يكون هناك من يرعاها من الداخل، كما يرعاها عم (ناجى) هذا من الخارج.

صمتت عند هذه النقطة، وكأنها قد اكتفت بالجواب، فسألها (عابد) فى اهتمام:

- ثم؟!

هزَّت كتفيها، مجيبة:

- اتفقنا أن أقوم بالإعلان عن الفيلا، وتأجيرها بما أراه مناسباً، واستقطع عمولتى من الإيجار، ثم أودع الباقى فى حساب الدكتور (أكرم).

سألها (عابد)، وهو يدوِّن ما تقوله، فى نقاط مختصرة:

- وماذا عن إجراءات الإيجار نفسها؟!

أجابته فى سرعة:

- التقى بالمستأجِر، وأوقَّع معه العقد، ثم أرسله بنسخة منه إلى عم (ناجى)، الذى أبلغه مسبقا بهويه المستأجِر؛ ليقوم هناك بما يلزم.

سأل (عابد):

- ومتى كانت آخر مرة زرت فيها الفيل ؟!

عادت تهزّ كتفيها، مجيبة:

- منذ شهر تقريباً، عندما شعرت أنه من غير الطبيعى ألا يطلب أحد استئجارها، ولقد أخبرنى عم (ناجى) أنه لم يحاول شخص واحد رؤيتها، مما دعانى إلى تفقدُها من الداخل؛ للاطمئنان على أن أثاثاتها مازالت بحالة جيدة.

همَّ (عابد) بالقاء سؤال آخر، عندما ارتفع رنين هاتفه الشخص، فالتقطه فى سرعة، وغمغم باسمه، ثم استمع فى اهتمام...

وعلى الرغم من أنه قد بذل قصارى جهده؛ حتى يتماسك مظهره، أدرك (سعيد) أنه يتلقى خبراً عنيفاً...

بحق...

• • •

حبس بطل المصارعة دموعه فى صعوبة، وهو يرقد مقيَّداً فى إحكام، فوق ما بدا أشبه بمنضدة جراحية...

وعلى الرغم من رؤيته لذلك الرجل شبه النحيل، وهو يدفع تلك المقصلة نحوه، هتف بصوت مختنق:

- ولكن كيف؟!.... هناك خدعة ما حتماً!!.... من أين لمثلك بكل هذه القوة؟!...

أجابه الرجل فى مقت عجيب:

- من أمثالك... الذين يملأ الغرور أنفسهم، ويتصوَّرون أنهم قد ملكوا العالم بقوتهم.

حاول بطل المصارعة عبثاً حل قيوده، التى بدت شديدة القوة، على الرغم من عضلاته المفتولة، التى انتفخت عن آخرهما، فاسترخى فى استسلام، وهو يقول فى مرارة:

- حسناً... إننى أعترف.... لقد هزمتنى مرتين... أليس هذا ما تريد إثباته.

رفع شبه النحيل المقصلة، فوق عنق بطل المصارعة مباشرة، وهو يقول فى برود عجيب:

- يبدو أنك لم تسمعنى جيداً منذ البداية!!... أخبرتك أننى إن هزمتك، فسأشفط مخك من رأسك.

والتمعت عيناه، وهو يضيف فى استمتاع:

- ولقد هزمتك.... مرتين.

تطلَّع بطل المصارعة فى رعب إلى تلك المقصلة، التى استقرَّت فوق عنقه تماماً، وهو يقول فى عصبية:

- فليكن... لقد أثبت وجهة نظرك، فلا داع للاستمرار فى اللعبة.

ابتسم شبه النحيل فى هدوء، وهو يضع مثقابه فى قمة رأس بطل المصارعة، وغمغم فى سخرية:

- لعبة؟!... ربما لن تحب لعبتى كثيراً، ولكن...

لم يتم عبارته، ولكن صوت المثقاب الدوَّار تعالى....

وصرخ بطل المصارعة...

وبأقصى أقصى قوته...

● ● ●

" لم نربط الأمر بقضيتك فى البداية.... "...

قالها مدير الأمن العام، وهو يواجه المقدَّم (عابد)، الذى ظهرت عليه كل علامات التوتر، وهو يستمع فى اهتمام، ومدير الأمن يواصل:

- الزوجة كانت منهارة، وتصرخ بلا انقطاع، بأن زوجها قد تم اختطافه أمام عينيها... والزوج بطل رياضى شهير... باختصار، قضية من قضايا الرأى العام، التى تقلق أى جهاز الشرطة فى المعتاد.

غمغم (عابد) فى صعوبة:

- ومتى ربطتم بينى وبين قضية الاختطاف هذه؟!

أشار مدير الأمن بيده، مجيباً:

- عندما هدأت الزوجة، وبدأت تروى تفاصيل الاختطاف.

ثم دفع إليه ملفاً قصيراً، دون أن يضيف حرفاً واحداً...

وفى تردد متوتر، سحب (عابد) الملف...

وبدأ يقرأ...

ومع كل حرف يقرأه، كان حاجباه ينعقدان...

وينعقدان...

وينعقدان...

فالتفاصيل، التى روتها الزوجة، كانت أصعب من أن يتم تصديقها...

عامل يميل إلى النحول، يضرب بطل (مصر) فى المصارعة،

ويحمله عالياً، ويضرب به الأرض، و...

توقَّف عند هذه النقطة، وراح يقرأها مرَّات ومرَّات...

بطل المصارعة يضربه رجل، فى نصف حجمه...

ثم يختطفه...

أمر يخالف كل ما عرفه فى حياته...

وحتى كل ما يمكنه تصوُّره!!...

" مستحيل!!.... "

نطقها دون أن يدرى، فوافقه مدير الأمن بإيماءة من رأسه، وإشارة من يده، وقال:

- هنا قدَّرنا أن الأمر يتعلَّق بمن تبحث عنه.

رفع (عابد) عينيه إليه، متسائلاً فى حدة، لم تتناسب مع وجوده، فى حضرة مدير الأمن العام، الذى يفوقه عمراً ورتبة:

- لمجرَّد أن من اختطفه فى نصف حجمه؟!...

أجابه المدير فى سرعة:

- بل لأنها واقعة عجيبة.

ثم ابتسم ابتسامة شاحبة، مردفاً:

- وكل ما يتعلَّق بقضيتك عجيب.

صمت (عابد) لحظات، التهمت خلالها عيناه كلمات الملف مرة أخرى، ثم قال:

- إذن فأنتم ترون أن واقعة الاختطاف، ترتبط بالسفاح المتسلسل، الذى أبحث عنه وأسعى خلفه؟!

أومأ مدير الأمن العام برأسه، مجيباً:

- بالضبط.

غرق (عابد) فى صمته بضع لحظات مفكراً، ثم بدا شارداً محدثاً نفسه، وهو يغمغم:

- لقد سئم من اللعبة المغلقة.

مال مدير الأمن نحوه، متسائلا فى حيرة:

- ماذا؟!... أية لعبة؟!

استدار (عابد) إليه، ولكنه واصل حديثه الشارد، وهو يغمغم:

- إنه يريد نقل المباراة، إلى الساحة العامة.

تراجع مدير الأمن فى مقعده، وقال فى شئ من الغضب:

- لست أفهمك.

وهنا فقط، انتزع (عابد) نفسه من شروده، وبدا حازماً صلباً، وهو ينهض قائلاً:

- المهم أننى أفهمه.

رفع مدير الأمن عينيه معه فى نهوضه، وهو يقول فى صرامة:

- الوزارة كلها شديدة الاهتمام بهذه القضية أيها المقدَّم... ولقد اتصل بى وزير الشباب شخصياً، وأكَّد على ضرورة عودة بطل المصارعة، باعتباره رمزاً قومياً، لا ينبغى التفريط فيه أبداً.

أدار (عابد) عينيه إليه، قائلا:

- اطمئن يا سيادة اللواء؛ فلو أن استنتاجكم صحيح، فسيعود بطل المصارعة.

غمغم مدير الأمن العام فى لهفة:

- حقاً؟!

أومأ (عابد) برأسه إيجاباً، قبل أن يقول:

- ولكن ليس بجسده.

تراجع مدير الأمن، وانعقد حاجباه، وهو يتساءل فى غضب:

- ماذا تعنى؟!

مال (عابد) بنصف جسده، على مكتب مدير الأمن، وهو يقول فى صرامة:

- أعنى أن رأسه ستعود يا سيادة اللواء... أما جسده، فسنظل نبحث عنه طويلاً.

امتقع وجه مدير الامن، وهو يغمغم:

- (عابد)... هل تعنى أنه...

وعلى الرغم من مخالفة هذا لكل الاعراف، قاطعه (عابد)، قائلاً:

- حتى هذه اللحظة، لست أعنى شيئاً يا سيادة اللواء.

ثم اعتدل، مضيفاً فى توتر:

- فأنا فى انتظار ظهورها.

تساءل مدير الأمن العام فى توتر:

- فى انتظار ظهور ماذا؟!

شدَّ (عابد) قامته، والتقط نفساً عميقاً، قبل أن يجيب فى صرامة:

- الرأس...

وامتقع وجه مدير الأمن...

بشدة...

• • •

تطلعت (مروة) طويلاً، إلى ذلك الرسم، الذى وضعه الملازم (سعيد) أمامها، قبل أن تهز رأسها نفياً فى قوة، قائلة فى حسم:

- لا... لم أعرفه قط... لا باسم (يزبك)، ولا بأى اسم آخر.

تطلع (سعيد) إلى وجهها بضع لحظات، فقالت فى عصبية:

- هل تحاول قراءة ما يدور فى ذهنى؟!

ارتبك (سعيد)، وهو يبعد نظرة، قائلاً:

- مطلقاً.

تحاشى النظر إلى وجهها لحظة، وكأنما يخشى أن تقرأ هى ما يدور فى ذهنه، ثم اعتدل ينظر إليها، قائلاً:

- هل يمكنك رصد أية تغيرات فى فيلا الدكتور (حمدى)؛ لو رأيتها الآن؟!

بدا القلق على وجهها، وهى تسأله فى حذر:

- الآن؟!... أتعنى ليلاً؟!

حاولت ابتسامة أن تتسلل إلى شفتيه، وهو يقول فى خفوت:

- أتخشين الظلام؟!

قالت فى حدة غاضبة:

- لست أخشى شيئاً.

اتسع شبح ابتسامته قليلاً، وألقى نظرة على ساعته، قائلاً:

- الساعة لم تبلغ الثامنة بعد... ما رأيك لو ذهبنا إلى الفيلا

الآن؟!

بدا التردّد على ملامحها لحظة، ثم قالت:

- ربما لو...

بترت حديثها، مع نظرته المباشرة إلى عينيها، وانعقد حاجباها، وهى تقول فى حزم:

- فليكن... هيا بنا.

لم يكن الطريق من مكتبها إلى الفيلا طويلاً، لذا فقد وصلا إليها فى الثامنة والربع، وقال (سمير)، وهو يعبر حديقتها، مشيراً إلى حفرة كبيرة:

- هنا عثرنا على الرءوس.

شعرت بقشعريرة تسرى فى جسدها، على نحو جعلها تقول فى عصبية:

- أكان من الضرورى أن تذكر هذا؟!...

أغاظتها تلك الضحكة المقتضبة، التى وثبت من بين شفتيه، فانعقد حاجباها فى شدة، وسألته فى عصبية:

- هل تحمل مفتاحاً للفيلا؟!

هزّ كتفيه، قائلاً:

- هل تحملينه أنت؟!

هتفت فى غضب:

- لماذا لم تخبرنى قبل ان...

مرة أخرى أغاظتها ضحكته القصيرة، وهو يقول:

- لا بأس... انا أحمل مفتاحاً.

احتقن وجهها، وهى تهتف فى حدة:

- أنت شخصية سخيفة.

توقّف دفعة واحدة، والتفت إليها...

الحزن الذى أطلّ من عينيه، والأسى الذى ارتسم على ملامحه، جعلاها تشعر بالندم، على كل حرف نطقته، فغمغمت مرتبكة:

- معذرة... لم أقصد أن...

قاطعها فى صرامة:

- لا بأس.

قالها، وصعد فى درجات السلم القليلة فى نشاط، عجزت عم مجاراته، وهى تمسك سور السلم، قائلة، فى لهجة فقدت عدوانيتها:

- من أين لك بالمفتاح؟!

أجاب بنفس الصرامة والاقتضاب:

- من عم (ناجى).

كانت ترغب فى تجاذب أطراف الحديث معه؛ لعلها تخفّف من أثر حدتها السابقة، ولكنه بدا وكأنه قد أغلق شفتيه على لسانه، واستعاد صرامته العسكرية، وهو يدس المفتاح فى ثقب الباب، و...

وانتفض جسدها بمنتهى الرعب...

فعند أسفل نهاية السلم، من الناحية الأخرى، لمحت ذلك الجسد شبه النحيل، وهو يتجه نحوهما...

ومع كل التوتر فى أعماقها، وجدت نفسها تطلق صرخة...

صرخة رعب...

مدوية.

• • •

الفصل السابع

إلى جوار نافذة حجرة مكتبه، جلس (عابد) صامتاً...

شئ ما كان يشعره بأنه لا يسير على الطريق الصحيح...

شئ ما، لا يمكنه تفسيره بالضبط...

شعور غامض، داخل رجل، قضى نصف عمره تقريباً، فى البحث الجنائى...

شعور سبَبه شئ رآه...

أو سمعه...

شئ لم تنتبه إليه حواسه، ولكن أدركته غريزة رجل المباحث، الكامنة فى أعمق أعماق نفسه...

ولكن أى شئ؟!...

أى شئ؟!...

استغرق فى تفكير عميق صامت، داخل حجرة مكتبه، التى خفَف أضواءها، إلا من مصباح صغير فوق مكتبه، وكأنما يمنح نفسه حالة من الاسترخاء، تساعده على التركيز...

وفى سرعة خرافية، راح عقله يستعرض كل ما مرّ به...

كل لحظة...

كل كلمة...

كل مشهد...

ولكن عقله لم يتوقف عند أمر بعينه...

ولقد زاد هذا من توتره...

ألف مرة...

فوفق ما يشعر به، فى أعمق أعماقه، هناك شئ ما...

ولكن أين؟!...

أين؟!...

انتفض جسده انتفاضة خفيفة، عندما قطع تفكيره بغتة صوت طرقات منتظمة، على باب حجرته، فقال فى توتر:

- من؟!

دفع جندى الحراسة الباب فى حذر، وهو يقول:

- إشارة عاجلة، من قسم (المرج) يا باشا.

تطلع إليه (عابد) لحظة، وكأنه لم يسمع ما قاله، ثم تنحنح فى قوة، وهو يمد يده إلى جندى الحراسة، قائلاً:

- أين هى؟!

ناوله الجندى الإشارة، وهو يقول متوتراً:

- بلاغ من مواطن، حول العثور على... على...

ارتبك الجندى طويلاً، فتجاهله (عابد)، وبدأ فى قراءة الإشارة، مما جعل الجندى يكمل، فى خفوت مضطرب:

- على رأس جديدة.

رفع (عابد) عينيه إليه فى حركة حادة، ثم عاد ببصره فى سرعة إلى تلك الإشارة...

" أنه فى تمام الثامنة وسبع دقائق، وردنا بلاغ من المواطن (يزبك حمدان)، بالعثور على... "...

توَقف دفعة واحدة، ونبض كل عرق فى جسده، وهو يعود ببصره إلى الخلف بضع كلمات...

المواطن (يزبك)...

(يزبك)...

(يزبك)...

انتفض جسده هذه المرة فى عنف غاضب، ثم نهض وهو يدس الورقة فى جيبه، قائلاً للجندى فى صرامة عصبية:

- اطلب من سيارة النجدة اللحاق بى فى (المرج).

واندفع يغادر مبنى المديرية، وفى أعماقه تنطلق صرخة تحد غاضبة...

"لن تربح أيها السفاح.... لن تربح أبداً...." ...

وتواصلت تلك الصرخة فى كل كيانه...

بلا انقطاع...

• • •

لم تكد صرخة (مروة) تنطلق، حتى وثب (سعيد)، بكل ما اكتسبه من مرونة، خلال سنوات التدريب، فى اكاديمية الشرطة، وانقض على ذلك الظل، الذى بدا عند الطرف الثانى للسلم...

ومع ارتطامه به، سمع صوتاً مألوفاً، يصرخ فى رعب، امتزج بالألم:

- ماذا فعلت يا باشا؟!

اعتدل (سعيد) فى سرعة، وجذب الرجل من جلبابه، على نحو جعله ينهض مرغماً، وهو يلوّح بذراعيه؛ لحماية وجهه، صارخاً:

- لم أفعل شيئاً يا باشا.... لم أفعل شيئاً...

هتف به (سعيد) فى حنق:

- عم (ناجى)؟!... ماذا تفعل هنا؟!

حدّقت (مروة) فى (ناجى)، الذى بدا شديد الذعر، وهو يجيب:

- كنت أؤدى عملى.

هتفت به (مروة):

- فى هذه الساعة يا عم (ناجى)؟!...

حدّق فيها الرجل فى بلاهة، وكأنه لا يجد معنى لسؤالها، فقال له (سعيد)، وقد حوّل غضبه إلى صرامة ملئت صوته:

- لماذا لم تنبهنا إلى وجودك؟!

أجاب الرجل فى سرعة مضطربة:

- لم أعلم من أنتما فى البداية.

ثم خفض عينيه، وحمل صوته نبرة بكاء، وهو يضيف:

- وخفت.

تبادل (سعيد) نظرة مشفقة مع (مروة)، ثم ربّت على كتف عم (ناجى)، قائلاً:

- لا بأس... نحن خفنا منك أيضاً.

انتحب الرجل لحظات، على نحو ضاعف من شعورهما بالشفقة نحوه، فقالت (مروة)، محاولة تخفيف الموقف:

- افتقدتك كثيراً يا عم (ناجى).

نجحت كلماتها البسيطة فى كسر توتر الرجل، الذى هتف فى

حرارة:

- حمداً لله على سلامتك يا أستاذة.

أشارت بيدها إلى الفيلا، قائلة:

- كيف الأحوال بالداخل؟!

على الرغم من محاولتها صبغ عبارتها بالمودة والمرح، خرجت على الرغم منها واضحة التوتر، وإن بدا من الواضح أن عم (ناجى) لم ينتبه إلى هذا، وهو يجيب فى أسى:

- لست أدرى.... لا أدخلها أبداً... عملى يقتصر على الحديقة فحسب.

ثم حمل صوته كل الأسى، وهو يشير إلى الحديقة، مضيفاً:

- انظرى ما عانته من إهمال يا أستاذة... إننى أحاول إصلاح ما أفسده (يزبك) هذا.

غمغمت فى عصبية:

- (يزبك) مرة أخرى!!..

أشار إليها (سعيد) بعدم التطرّق إلى الأمر، مع عم (ناجى)، وربّت على كتفه مرة أخرى، قائلاً:

- فليكن يا عم (ناجى).... سنلقى نظرة على الفيلا من الداخل، ثم ننصرف على الفور.

هتف الرجل:

- تحت أمرك يا باشا... سأنتظركما حتى تنصرفا، ثم انصرف بدورى.

أومأ الإثنان برأسيهما، ثم واصلا طريقهما، وفتح (سعيد) باب الفيلا الكبير، وهو يغمغم، محاولاً تخفيف توتر الموقف:

- أمازالوا يصنعون هذه الأبواب الضخمة.

غمغمت (مروة)، وهى عاجزة عن كتمان توترها:

- عمر هذه الفيلا يربو عن المائة عام.

دفع (سعيد) الباب الكبير، فصدر عنه صرير مزعج، أثار فى جسد (مروة) قشعريرة كبيرة، جعلتها تغمغم فى توتر:

- هذا الصرير كان ضرورياً؛ لاستكمال الصورة المرعبة.

لم يعلّق على عبارتها، وهو يضغط زر الإضاءة...

ولكن صالة الفيلا ظلت مظلمة...

وفى صرامة، غمغم (سعيد):

- هذا يكمل الصورة بالفعل.

أضاء مصباحه اليدوى، الذى ألقى الكثير من الظلال، عبر الأثاثات القديمة، مما منح الصورة مشهداً أكثر رعباً...

وفى حركة غريزية، امسكت (مروة) ذراع (سعيد)، وقلبها يخفق فى قوة، وشعرت بتوتر جسد هذا الاخير، فغمغمت، وهى تتراجع فى خجل وارتباك:

- معذرة.

لم يحاول (سعيد) التعليق على كلمتها، وهو يركّز ضوء مصباحه على الجدار المواجه له، وحاجباه ينعقدان فى شدة وتوتر:

وفى حركة غريزية أيضاً، أدارت (مروة) عينيها إلى حيث ينظر...

وانتفض جسدها كله، فى رعب هائل...

وفى هذه المرة، كانت صرخة الرعب، التى انطلقت من حلقها، أكثر قوة...

ألف مرة...

على الأقل...

• • •

" إنه هو... "

قالها ضابط مباحث (المرج) فى امتعاض، وهو يشير إلى الرأس المقطوعة، الذى تم العثور عليها داخل علبة من الكرتون، فى منطقة شبه خالية...

وبكل التوتر الذى يسرى فى جسده، التقط (عابد) نفساً عميقاً، وغمغم فى مقت:

- بطل (مصر) فى المصارعة.

أشار ضابط المباحث بيده، قائلاً:

- إنها كارثة.... (مصر) كلها ستتحدث عما حدث... لا يمكن إخفاء أمر يتعلق بشخصية عامة كهذه .

انعقد حاجبا (عابد) فى شدة، وهو يقول:

- ربما هذا هو المقصود .

التفت إليه ضابط المباحث، بنظرة متسائلة قلقة، فتابع فى حزم، يحمل كل الحنق والمقت:

- نحن نحاول إبعاد الأمر عن الإعلام، ولكن هذا لا يتفق مع

قواعد لعبته.

غمغم ضابط المباحث بكل دهشته:

- لعبة؟!... عمن تتحدث يا سيادة المقدم؟!..

أغمض (عابد) عينيه بضع لحظات، ثم عاد يفتحهما، قائلاً:

- الأمر أعقد من أن يتم شرحه هنا يا رجل.

ثم أشار إلى الرأس، قائلاً:

- سلمها إلى الطب الشرعى، وتحاشى الحديث عن أى أمر بهذا الشأن.

غمغم ضابط المباحث فى توتر:

- بالتأكيد يا سيادة المقدم... بالتأكيد.

هم (عابد) بقول شئ ما، عندما ارتفع رنين هاتفه المحمول، الذى حملت شاشته اسم رئيسه، فالتقطه قائلاً:

- المقدم (عابد شوقى).... انا فى مسرح الجريمة، و...

قاطعه رئيسه فى انفعال:

- كارثة يا (عابد).... كارثة.

عاد حاجبا (عابد) ينعقدان، وهو يقول فى توتر:

- ماذا هناك يا سيادة اللواء؟!

أجابه رئيسه بنفس الانفعال:

- صورة رأس بطل المصارعة المقطوع، أرسلها مجهول إلى كل الصحف وشبكات التليفزيون.... (مصر) كلها فى حالة فزع ورعب يا (عابد)... والكل ينتظر منا تفسيراً.

بالكاد تحدث (عابد)، وهو يقول بكل الغضب:

- إنه ينقل اللعبة إلى مستوى جديد.

هتف به رئيسه فى حدة:

- لعبة؟!... إنها كارثة يا(عابد).... كارثة بكل المقاييس...

أريدك فى مكتبى حالاً... حالاً يا (عابد).

غمغم (عابد) فى توتر شديد:

- حالاً يا سيادة اللواء.

انهى المحادثة وهو يشعر فى أعماقه بغضب لا حدود له...

الدكتور (وليد) كان على حق...

السفاح يغيِّر قواعد اللعبة وقتما يشاء...

وكيفما يشاء...

إنه يقود المباراة كلها...

وكل ما عليهم هو اللحاق به...

هو يرسم الطريق...

وهم يتبعونه...

وهذا لا يمنحهم أية أسبقية...

وتحت أية مقاييس...

ومادام هو الذى يقود اللعبة، فسيظل دوماً فى المقدمة...

إلا إذا...

انطلق رنين هاتفه المحمول مرة أخرى؛ لينتزعه من أفكاره، فالتقطه فى سرعة، قائلاً بكل توتره:

- ماذا هناك يا (سعيد)؟!

وتضاعف غضبه ألف مرة، مع ما يسمعه من (سعيد)...

فالأمور كانت تزداد بشاعة...

وأيضاً ألف مرة...

• • •

على الرغم من تظاهرها المستمر بالقوة والتماسك، بدت (مروة) منهارة تماماً، وهى منكمشة فى ركن مقعد كبير، فى صالة فيلا الدكتور (أكرم حمدى)، تبكى فى حرقة، وجسدها كله ينتفض بلا توقف...

وبنظرة خاوية، تطلع إليها (عابد)، قبل أن يلتفت إلى (سعيد)، قائلاً:

- وماذا كنتم تفعلون هنا بالضبط؟!

أجابه (سعيد) مرتبكاً:

- أردتها أن تتفقد الفيلا، و...

لم يتم جوابه، مع تلك النظرة القاسية، التى حدجه بها (عابد)، فازدرد لعابه فى صعوبة، وأشار إلى الجدار، مغمغماً فى توتر:

- وفوجئنا بهذا.

ألقى (عابد) نظرة أخرى على (مروة)، ثم أدار عينيه إلى تلك الكلمات، التى خطها أحدهم بخط كبير على الجدار...

" كل الاجساد وتحركها رءوس.... فماذا يمكن أن تفعل الاجساد.... بلا رءوس؟!... "..

عبارة بدت وكأنها منتزعة من كتاب قديم...

ولكن مكمن الخوف لم يكن فى العبارة...

ولكن فى المداد الذى كتبت به...

فقد كتبها أحدهم... بالدم...

دم سال من اطراف كل كلمة، ليصنع صورة شديدة البشاعة، تثير الرعب والاشمئزاز فى النفوس...

وطويلاً، راح (عابد) يحدّق فيها، قبل أن يقول:

- من علم أنكما ستأتيان إلى هنا؟!

هزُ (سعيد) رأسه، مجيباً:

- لا أحد... لقد كانت الفكرة وليدة اللحظة.

التقط (عابد) نفساً عميقاً، وقال:

- ولكن الأستاذة (مروة) أخبرت طاقم مكتبها حتماً.

كان عم (ناجى) يقف ملتصقاً بالجدار، فى رعب وشحوب واضحين، وما أن سمع عبارة (عابد) الاخيرة، حتى اعتدل قائلاً:

- الأستاذ (عطية) أبلغنى، أن الأستاذة فى طريقها إلى هنا، مع أحد رجال الأمن.

انعقد حاجبا (عابد)، وهو يسأله فى صرامة:

- من الأستاذ (عطية) هذا؟!

أجابته (مروة) وهى ترتجف مع صوتها فى شدة:

- إنه وكيل مكتبى.

سألها (عابد) فى صرامة أكثر:

- هل طلبت منه إبلاغ عم (ناجى)؟!

هزّت (مروة) رأسها نفياً، فالتفت (عابد) إلى (سعيد)، قائلاً:

- أريد رؤية (عطية) هذا فوراً.

أومأ (سعيد) برأسه إيجاباً، وهم بالتحركم، عندما أمسك (عابد) ذراعه فى قوة، جعلته يلتفت إليه متسائلاً، فقال (عابد) فى صرامة:

- لا تخلط العمل بالأمور الشخصية.

امتقع وجه (سعيد)، وهو يومئ برأسه إيجاباً، فى حين قالت (مروة)، فى دهشة متوترة:

- ماذا تعنى بهذا؟!

ولما لم تتلق جواباً من (عابد)، هتفت بالملازم (سعيد):

- ماذا يعنى بهذا؟!

لم يجب (سعيد) أيضاً، وكأنها لم تلق السؤال، وانما قال (عابد) فى صرامة:

- كيف دخل شخص إلى هنا؛ ليكتب هذه الكلمات؟!

غمغم عم (ناجى) منكمشاً:

- نافذة المطبخ كانت مكسورة.

تساءل (سعيد) بدوره، وهو يتجه نحو الباب؛ لإحضار (عطية):

- وبدم من كتب هذا؟!

انعقد حاجبا (عابد) أكثر، وهو يغمغم:

- نعم... بدم من؟!

ارتفع رنين هاتفه مرة أخرى، فالتقطه فى سرعة، وقال فى صرامة متوترة:

- نعم يا سيادة اللواء... كنت فى طريقى إليك، عندما...

قاطعته صرخة رئيسه الغاضبة:

- لا أريد اية تبريرات يا (عابد)... لقد طلبت منك الحضور إلى مكتبى فورا، وكان لابد وأن تفعل.

قال (عابد) فى توتر:

- لو علمت السبب لما غضبت يا سيادة اللواء.

راح يشرح له الموقف فى سرعة، واستمع إليه رئيسه فى انتباه واهتمام، ثم لاذ بالصمت لحظات، قبل أن يقول، فى صوت حمل كل توتره وانفعاله:

- أية قضية هذه، التى نواجهها يا (عابد)؟!

أجابه (عابد) فى توتر:

- إنها لعبة يا سيادة اللواء.

هتف به رئيسه فى غضب:

- أى مصطلح هذا، الذى تسفه به كل الأمور يا (عابد).

تنهد (عابد) وقال:

- المؤسف والمؤلم هو أنها بالفعل لعبة يا سيادة اللواء، على الرغم من بشاعتها... لعبة يلعبها معنا سفاح سادى مجنون، يرى أنه اكثر ذكاءً منا مجتمعين، ويسعى لإثبات هذا... ليس لنا وحدنا، ولكن للمجتمع كله.

قال رئيسه فى اشمئزاز:

- على هذا النحو البشع؟!..

أجابه (عابد) فى مرارة:

- هكذا وضع قواعد لعبته يا سيادة اللواء.

ران على محادثتهم صمت، استغرق أقل من نصف الدقيقة، قبل أن يستعيد رئيسه تماسكه، ويسأل عبر الهاتف:

- وماذا عن الدماء، التى كتب بها رسالته؟!

أجاب (عابد):

- سأرسل فى طلب عربة الادلة الجنائية... ولكن...

صمت لحظة، ازدرد خلالها لعابه فى صعوبة، قبل أن يتابع:

- ولكننى أعتقد أنها دماء بطل المصارعة.

ران عليهما الصمت مرة أخرى، ثم قطعه (عابد)، وهو يقول فى صرامة:

- إنه يتحدانا يا سيادة اللواء.

أجابه رئيسه:

- يتحدى ذكاءنا يا (عابد)... انظر إلى الرسالة التى تركها على الجدار... "ماذا يمكن أن تفعل الأجساد بلا رءوس..."... ترى ما الذى يمكن أن يعنيه هذا يا (عابد)؟!

زفر (عابد) مغمغماً:

- ربما يكمن فيها حل اللغز كله يا سيادة اللواء.

قال رئيسه فى انفعال:

- ابحث عما تعنيه يا (عابد)، و...

ولم يسمع (عابد) باقى العبارة...

هذا لأن (سعيد) عاد فى هذه اللحظة، وبصحبته رجل يميل إلى النحول، ولكن له خدين منتفخين...

رجل ينقصه فقط شارب ضخم؛ ليصبح صورة طبق الأصل، من المشتبه به الرئيسى، فى هذه القضية كلها...

صورة طبق الأصل من (يزبك)...

اللبنانى المزعوم.... (يزبك).

• • •

الفصل الثامن

فجأة، سطع البرق فى السماء، وعبر ضوءه نافذة حجرة (جميلة)، فى منزل والدها، فهبّت من فراشها فزعة، قبل أن يدوى هزيم الرعد، الذى امتزج بصرخة رعب هائلة من حلقها *...

وعقب صرخته، انفتح باب حجرتها فى قوة...

وسطع البرق مرة أخرى...

وأنار ذلك الجسد، الواقف عند الباب...

وصرخت (جميلة) مرة أخرى، فهب ابنها من نومه فزعاً، وراح يبكى على نحو هستيرى، مما جعل والدها يضئ الحجرة، متسائلا فى فزع:

- ماذا يحدث يا (جميلة)؟!... سمعت صرختك، فقفزت من فراشى إلى هنا.

حدّقت (جميلة) فى وجه والدها، ثم انفجرت باكية فى حرارة، وهى تضم ابنها (أحمد) إلى صدرها، فراح جسده الصغير ينتفض مع انتفاضاتها، وامتزجت دموعه بدموعها، فاقترب منها والدها، واحتواها وابنها بين ذراعيه، وهو يغمغم فى حنان:

- أمازلت تشعرين بالخوف؟!

بكت على صدر والدها، وهى تقول:

- (عابد) كان على حق.... هذا أوّل مكان سيبحث فيه السفاح عنى.

ضمها إليه أكثر، وهو يقول:

*لأن سرعة الضوء تفوق سرعة الصوت، يسطع البرق أوّلاً، ثم يليه بفترة زمنية قصيرة نسبياً هزيم الرعد.

- لقد أجريت اتصال بعمك (عبد الرحمن)، وطلبت منه أن يرسل لنا أربعة من رجال الحراسة، من شركة الأمن، التى يعمل بها.

حاولت أن تجفِّف دموعها فى صدره، وهى تقول:

- لماذا تركنى (عابد)؟!... لماذا؟!

تنهَّد والدها، وضمها إليه، وقبَّل جبينها، وغمغم مشفقاً:

- أنت من ترك المنزل يا (جميلة).

ابعدت رأسها عن صدره، وهى تقول:

- أكنت تريدنى أن أبقى، بعد أن علم القاتل أين تقيم؟!

غمغم فى خفوت:

- كلا بالطبع .

وقبَّل جبينها مرة أخرى، مضيفاً:

- ولكننى كنت أفضِّل أن تشركى زوجك معك، فى قرار كهذا.

عادت إلى البكاء، قائلة:

- لقد أهملنا... انشغل بعمله عنا.

ربَّت عليها بكل حنان الأبوة، قبل أن يقول:

- هذه طبيعة عمله...

وصمت لحظة، ثم أضاف فى خفوت:

- والزوجة المخلصة تعاون زوجها على عمله، ولا تقف عقبة فى سبيله.

انهمرت دموعها أكثر وأكثر...

وسطع البرق مرة أخرى...

ولم تصرخ...

• • •

بكل توتر الدنيا، راح (عطية) ينقر بأصابعه على مسند ذلك المقعد الكبير الوثير، فى صالة فيلا الدكتور (أكرم)، ويلقى نظرة مختلسة، كل حين وآخر، على تلك الكتابة الدموية على الجدار، قبل أن يهتف فجأة فى عصبية بالغة:

- أمن الضرورى أن يتم هذا هنا؟!

لم يكن أكثر ما يثير توتره هو الدماء على الجدران...

ولا حتى رجال المعمل الجنائى، الذين انتشروا فى المكان، يجمعون العينات، ويبحثون عن أية أدلة محتملة...

ولم يكن أيضاً ما يواجهه دون استعداد...

بل كان أكثر ما يثير توتره هو تلك النظرة الباردة القاسية، التى يحدجه (عابد) بها فى صمت...

كان وكأنه يتفرَّسه جيداً، ويحاول سبر أغواره، وقراءة أفكاره، وكشف أسراره...

ونظراته كانت وكأنها تغوص فى أعماقه...

فى أعمق أعماقه...

ومع الوقت، لم يلبث احتماله أن انهار، وهتف بكل العصبية:

- حسناً.... لماذا أنا هنا؟!

تبادل (سعيد) نظرة مع (عابد)، قبل أن يقول الثانى فى صرامة:

- لماذا أخبرت عم (ناجى)، أن الأستاذة (مروة)، فى طريقها مع الملازم (سعيد) إلى الفيلا؟!

احتقن وجه (عطية)، وهو يقول فى عصبية:

- أهذه جريمة؟!

بدا صوت (عابد) أشبه بزمجرة صارمة، وهو يكرِّر:

- لماذا يا أستاذ (عطية)؟!

ارتبك (عطية)، وهو يجيب:

- إنه أمر طبيعى... اخبرته ليقوم بتهيئة المكان فحسب.

صمت (عابد) يراقبه لحظات، قبل أن يسأله بكل الصرامة:

- ومن أخبرت أيضاً؟!

بدت علامات التفكير على وجه (عطية) لحظات، قبل أن يجيب فى حذر واضح:

- لم أخبر أحداً.

ثم استدرك فى سرعة، وفى انفعال مختلف:

- ولكننى كنت أتحدَّث بصوت مسموع، فى حجرة المحامين.

همَّ (عابد) بإلقاء سؤال آخر عليه، عندما ارتفع رنين هاتفه المحمول، فالتقطه فى سرعة، مغمغماً فى حدة:

- صرت أكره عصر الهواتف المحمولة هذا.

بدا عليه الاهتمام والانتباه، وهو يستمع إلى محدِّثه، قبل أن يغمغم فى عصبية حاول اخفاءها:

- إذن فذلك المتصل المجهول، لم يجر اتصاله من منطقة (المرج) كما أدعَى.

صمت لحظات أخرى، مستمعاً إلى محدِّثه، والكل يتطلع إليه فى

اهتمام، حتى قال فى عصبية، لم يحاول كتمانها هذه المرة:

- هل يمكنك اعفائى من التفاصيل الفنية، واخبارى مباشرة، من أين تم الاتصال؟!

انعقد حاجباه فى شدة، وهو يسمع الجواب، قبل أن ينهى المحادثة، مغمغماً فى سخط:

- يالسخافة!

سأله (سعيد) فى اهتمام:

- من أين تمت المكالمة؟!

رفع (عابد) عينيه إليه، وظلَّ صامتاً لحظات، تصوَّر (سعيد) معها أنه لن يجيب، إلا أنه لم يلبث أن قال، فى صوت مختنق:

- من هنا.

تبادل الكل نظرة دهشة، و(سعيد) يتساءل، فى خفوت حذر:

- من (المعادى)؟!

أشار (عابد) بيده، إشارة ليست ذات معنى، وازدرد لعابه فى صعوبة، وهو يجيب:

- بل من هذه الفيلا.

اتسعت عيون الكل فى دهشة، وهتفت (مروة):

- من هنا؟!!

هتفت بها بلهجة، مستنكرة متوترة، ثم أدارت عينيها إلى (سعيد)، تسأله بكل الحيرة:

- أية مكالمة هذه؟!

غمغم (سعيد) بكلمات لم تسمعها، ثم رفع عينيه إلى المقدَّم (عابد)، فى قلق واضح، فنهض هذا الأخير، يقول فى حنق شديد:

- هذا جزء من اللعبة...

بدا لحظة وكأنه سيكتفى بهذا القول، إلا أنه لم يلبث أن استطرد فى غضب:

- كان يعلم أننا سنتتبَّع اتصاله، عندما نسمع اسم (يزبك)... وأن هذا سيقودنا حتماً إلى هنا... وأننا عندئذ سنعثر على الكلمات المكتوبة بالدم.

مع آخر قوله، دخل أحد رجال المعمل الجنائى المكان، وهو يشير بيده، قائلاً:

- النتيجة إيجابية يا سيادة المقدَّم.

غمغم (عابد) فى حنق:

- لن يدهشنى هذا.

تطلعتْ إليه (مروة) فى حيرة متسائلة، وتململ (عطية) فى مجلسه، فالتفت إليهما (سعيد)، مغمغماً فى خفوت متوتر:

- هذا يعنى أن الدم، المستخدم فى كتابة العبارة على الجدار، هو بالفعل دم بطل المصارعة...

سرت قشعريرة باردة كالثلج، فى جسد (مروة)، فارتجفت على نحو ملحوظ، فى حين أشاح (عطية) بوجهه؛ ليخفى الانطباع الذى ارتسم على ملامحه، وسالت الدموع من عينى عم (ناجى) فى صمت، فشد (عابد) قامته، وهو يقول فى صرامة، لم تخل من التوتر:

- مزيج من التحدِّى والسخرية.

غمغم (سعيد):

- والتأثير فى الخصوم.

شد (عابد) قامته أكثر، وهو يقول:

- هل تعلم ما الذى يحتاجه هذا؟!

تطلع إليه (سعيد) فى تساؤل حذر، فتابع فى صرامة:

- الدكتور (وليد الرخاوى).

وهنا انعقد حاجبا (سعيد)، وراح عقله يسترجع كل التفاصيل... بلا استثناء...

• • •

كعادته، ظل الدكتور (وليد) صامتاً لفترة طويلة، بعد سماعه كل التفاصيل، التى رواها له (عابد) و(سعيد)، ثم أدار عينيه فى وجهيهما، وهو يقول فى بطء:

- ذلك الرجل تعرَّض لأذى كبير من والده.

غمغم (عابد):

- هل تحاول تبرير أفعاله؟!

هزَّ الدكتور (وليد) رأسه نفياً فى بطء، قبل أن يجيب:

- بل أحاول فهمه.

ثم اعتدل، مستطرداً فى اهتمام:

- إنه يمارس عمله فى استمتاع شديد، ويسعى طوال الوقت لجذب الاهتمام... تماماً مثل طفل صغير، يشعر بإهمال والديه، فيقوم بأفعال عنيفة؛ فقط ليجذب انتباههما إليه.

بدا (عابد) عصبياً، وهو يقول:

- لقد قطع شوطاً طويلاً، حتى بلغ مرحلة ما نطلق عليه اسم (عدو المجتمع).

أشار (وليد) بيده، قائلاً:

- أنتم دفعتموه إلى هذا.

انعقد حاجبا (سعيد) فى شدة، وبدا التوتر على ملامحه، فى حين عقد (عابد) حاجبيه، مغمغماً فى عصبية:

- هل تتهمنا نحن؟!

أجابه الدكتور (وليد) فى هدوء:

- أنا لا أتهم أحداً.... أنا أقوم بتحليل نفسى فحسب.

بدا (عابد) عدوانياً، وهو يقول:

- ولكنك تقول: إننا نحن دفعناه إلى تصعيد الأمور.

أومأ الدكتور (وليد) برأسه إيجاباً، وقال:

- هذا صحيح.

مال (عابد) بنصف جسده نحوه، قائلاً فى تحد:

- وكيف أيها العبقرى؟!

شعر (عابد) بالغيظ، عندما أتاه الجواب على لسان (سعيد) من خلفه، وهو يغمغم:

- عندما امتنعنا عن نشر جرائمه.

هتف الدكتور (وليد) فى حماس:

- بالضبط.

استدار (عابد) نصف استدارة؛ ليلقى نظرة غاضبة متوعدة على (سعيد)، قبل أن يعود إلى مجلسه، قائلاً فى عصبية:

- نشر الجرائم كان كفيلاً بإثارة رعب المجتمع.

أشار (وليد) بسبابته، قائلاً:

- وهذا ما يسعى إليه منذ البداية..

ثم تراجع فى مقعده فى حذر، مضيفاً:

- وما منعتموه عنه.

انعقد حاجبا (عابد) فى شدة، دون أن يعلق، مما شجع الدكتور (وليد) على أن يتابع:

- مادامت بالنسبة إليه لعبة، فأية لعبة تحقق متعتها، فى غياب المشاهدين؟!... إنه يبحث عن جمهور المتابعين والمشجعين... وحتى الرافضين والمذعورين... المهم أن يكون هناك جمهور يتابع المباراة.... جمهور يمكنه التباهى أمامه، عندما يحرز انتصاره.

قال (عابد) فى صرامة:

- أخبرتك أنه لن يربح.

أغاظته تلك الابتسامة، التى ظهرت عند ركن شفتى الدكتور (وليد)، قبل أن يقول فى هدوء، يستفز (عابد) دوماً:

- فكرة الهزيمة تزعجك... أليس كذلك أيها المقدم؟!

لوح (عابد) بيده، فى صرامة شديدة، لم تنجح فى إخفاء غضبه:

- نحن هنا للتحدث عنه... وليس عنى.

اتسعت تلك الابتسامة، عند ركن شفتى الدكتور (وليد)، وغمغم:

- بالتأكيد.

ثم اعتدل بحركة مفاجئة، كادت يد (عابد) معها تقفز إلى مسدسه، وأضاف فى حزم:

- المشكلة أنه قد نقل اللعبة، على الرغم منكم، إلى الملعب الأكثر اتساعاً ومتعة... إلى الإعلام.

سأله (سعيد) فى اهتمام:

- وهل تعتقد أن هذا سيرضيه؟!

صمت الدكتور (وليد) لحظة، ثم مال إلى الأمام، يسأله:

- ماذا يحدث لهدّاف فريق كرة القدم، عندما يحرز هدفاً، فيصرخ الجمهور هاتفاً باسمه.

امتقع وجه (سعيد)، وهو يجيب مغمغماً:

- سيبذل قصارى جهده؛ إحراز هدف آخر.

أشار إليه الدكتور (وليد) مكرّراً:

- بالضبط.

انتقل الامتقاع إلى وجه (عابد)، وهو يغمغم:

- إذن فأنت ترى أن...

قاطعه الدكتور (وليد) فى حزم:

- أنا أرى أن كل ما مرّ بكم حتى الآن، كان المقدّمة فحسب... واعتبارا من اليوم، سيبدأ الفصل الجديد.

وحمل صوته رنة جديدة، وهو يضيف:

- الفصل الذى يحمل الرعب... كل الرعب.

وتضاعف امتقاع وجهى (عابد) و(سعيد)...

بشدة...

• • •

لنصف ساعة كاملة، جلس ذلك السفاح شبه النحيل، يتطلّع إلى أجهزته، المعدّة لأبشع فعل فى الكون...

لقتل البشر، عبر شفط أمخاخهم وقطع رءوسهم...

وبلا رحمة...

كان بعض تلك الأجهزة الرهيبة مازال يحمل آثار دماء ضحاياه...

وبالذات تلك المقصلة البشعة...

نصلها شديد الحدة، كان ملوثاً بمزيج من دماء ضحاياه، على نحو يوحى بأنه لم يحاول إزالتها قط...

كان يستمتع دوماً بمرأى تلك الدماء الجافة، وكأنما خلت نفسه من أية مشاعر آدمية بشرية...

وفى بطء، نهض من مقعده الخشبى، الشبيه بأثاثات العصور الوسطى، واتجه نحو البرّاد الحديث، الذى بدا شديد التناقض مع ما حوله، وفتح بابه، وتطلّع إلى القنينات الصغيرة داخله..

كانت ست قنينات فحسب، تطلّع إليها فى صمت، وبوجه خلا من أية انفعالات، قبل أن يمد يده؛ ليلتقط محقناً صغيراً، يحوى سائلاً شفافاً، ألقى نظرة سريعة عليه، ثم دسّه فى جيبه...

وأمام مرآة قديمة، لها إطار خشبى، وقف يتأمل هيئته الجديدة...

ثم ابتسم...

ابتسم ابتسامة ظافرة...

واثقة...

قاسية...

وحشية...

وبعدها عاد إلى البرّاد، والتقط واحدة من القنينات الست، وسحب ذلك السائل داخلها، ثم كشف ذراعه، وحقنه فى وريده الساعدى، وهو يغلق عينيه فى استمتاع عجيب...

وعندما فتحهما، كانتا تتألقان فى شدة...

ومرة ثانية، ألقى نظرة على هيئته، فى تلك المرآة القديمة، ثم انطلقت من حلقة ضحكة، ردّدت الجدران صداها، على نحو صنع مشهداً مخيفاً...

للغاية...

وبملامح شيطانية، حملت كل قسوة الدنيا، غادر الذئب الوحشى وكره؛ بحثا عن ضحية جديدة...

ضحية تقفز باللعبة إلى مضمار جديد...

مضمار أكثر رعباً...

بكثير...

جداً...

• • •

" القضية اشتعلت بشدة أيها المقدّم.... "

قال رئيس (عابد) الجملة فى مرارة محبطة، ثم أشار بيده، مردفاً

فى أسى:

- زوجة بطل المصارعة تبكى فى حرقة، على كل شاشات الفضائيات. ووزارة الشباب أصدرت بياناً، تنعى فيه البطل، وتندّد بالجريمة البشعة، ورئيس الوزراء طلب تقريراً عاجلاً حول الواقعة، وسيادة وزرير الداخلية يطلب هذا التقرير كل ساعة.

غمغم (عابد) فى سخط:

- الضغط على أعصاب الخصم...

مال رئيسه نحوه، قائلاً فى توتر:

- ماذا؟!

أشار (عابد) بيده، موضحاً:

- ذلك السفاح يضغط على أعصابنا، حتى نفقد قدرتنا على التركيز والتفكير السليم.

حدّق رئيسه فى وجهه مستنكراً، فأضاف فى غضب:

- هكذا تقول قواعد اللعبة.

هتف رئيسه مستنكراً:

- لعبة؟!... ماذا دهاك يا (عابد)؟!

أشار (عابد) بيده، قائلاً:

- أحاول فهم قواعده الجديدة يا سيادة اللواء.

هتف به رئيسه فى غضب:

- من الواضح أنك تشعر بالإرهاق... منذ متى لم تخلد إلى النوم أيها المقدّم؟!

ومخالفة لكل القواعد، لم يجب (عابد) سؤاله، وهو يتابع، وكأنه يدير الحوار مع نفسه:

- لقد فعل تماماً ما توقعه الدكتور (وليد)... بدل قواعد اللعبة من طرف واحد، ونقلها إلى ميدان علنى؛ حتى يستمتع أكثر بانتصاراته.... لهذا اختار شخصية عامة.

تراجع رئيسه فى مقعده، وهو يقول فى صرامة:

- اذهب للنوم أيها المقدم... من الواضح أنك تحتاج إليه.

مرة أخرى واصل (عابد)، وكأنه لا يسمع رئيسه:

- الملعب فى هذا المستوى شديد الاتساع، على نحو قادر على إنهاك جهاز الشرطة كله؛ فى حراسة وتأمين وحماية كل الشخصيات العامة فى (مصر)، من فنانين إلى سياسيين، إلى إعلاميين، وغيرهم... رجل واحد يجهد جهاز شرطة كامل... هذا ما يسعى إليه الآن.

صاح به رئيسه، الذى لم يرق له تجاهل حديثه على هذا النحو:

- انتباه أيها المقدم.

التفت إليه (عابد) فى حركة حادة، قائلاً:

- ارسل تقريرك إلى سيادة الوزير يا سيدى... أخبره أننا قد استنفرنا كل أجهزتنا؛ للتحقيق فى واقعة بطل المصارعة، وأنه لدينا أدلة جديدة، ستقودنا إلى القاتل.

تراجع رئيسه فى مقعده، وهو يتطلع إليه فى قلق، وغمغم:

- أتريدنى أن أخبره هذا بالفعل؟!

أشار (عابد) بيده، قائلاً:

- هذا ما ينتظره، وما يرغب فى نقله إلى الرأى العام، سواء

أكان حقيقة أم لا... إنه يريد تجاوز الحرج أمام الرأى العام فحسب.

مال رئيسه إلى الامام، فى حركة حادة، وهو يقول فى صرامة:

- وماذا عن الواقع؟!

شدَّ (عابد) قامته، وهو يقول فى حزم:

- سنقبل التحدى، ونخوض المنافسة.

انعقد حاجبا رئيسه، وهو يقول:

- ماذا تعنى بهذا أيها المقدم؟!

أشار (عابد) بيده، قائلاً فى حزم:

- لأول مرة، سنضع نحن القواعد يا سيادة اللواء... سنأخذ الخطوة الأولى، وندفع الذئب للخروج من وكره، فى الوقت الذى نختاره نحن.

غمغم رئيسه:

- وماذا بعد هذا؟!

ضرب (عابد) سطح مكتب رئيسه فى قوة، وهو يجيب:

- سنسحقه.

وانتفض جسد رئيسه...

فى عنف.

• • •

قشعريرة باردة كالثلج...

واتسعت عيناه، وهو يتخيَّل تلك البلطة الهائلة تهوى على عنقه،

و...

" لا تتعجل.... "..

قالها ذلك الشخص، الذى يوليه ظهره، والذى بدا منحنياً على شئ ما...

كيف قرأ ما يدور فى ذهنه؟!...

كيف؟!...

ثم ما هذا الصوت؟!...

إنه صوت مألوف تماماً...

صوت يسمعه كل يوم...

تقريباً...

" إنه بالفعل صوت تسمعه كل يوم.... "...

ارتجف جسده مرة ثانية، مع تلك العبارة...

ذلك الشخص يقرأ ما يدور فى ذهنه بالفعل...

وها هو ذا يلتفت إليه...

و...

يا إلهى!... إنه لم يكن ينحنى على شئ...

بل لم يكن له حتى رأس لينحنى به...

كان مجرَّد جسد...

جسد بلا رأس..

ولكن لا.... ها هى ذى الرأس هناك...

على تلك المنضدة، فى نهاية القبو...

ووجهها يبتسم له فى تشف...

وتماماً كالصوت، هو وجه مألوف...

وجه يراه كل يوم...

وجه...

" سيادة المقدِّم:.... "..

انتفض جسده فى عنف، مع ذلك القول، الذى اقترن بلمسة على جبهته، فهبَّ من رقاده فى حركة عنيفة، هاتفاً:

- ابتعد.

تراجع الملازم (سعيد) فى حركة حادة، وهو يحدِّق فيه مذعوراً، ورآه يحدِّق فيه بدوره، فغمغم فى توتر:

- ماذا هناك يا سيادة المقدِّم؟!

ظلَّ (عابد) يحدِّق فيه لحظات، ثم زفر ودعك رأسه، مغمغماً:

- كان كابوساً.... يبدو أننى قد استغرقت فى النوم، دون أن أشعر.

حاول (سعيد) أن يبتسم، وهو يغمغم:

- أنت نائم منذ ساعة ونصف الساعة يا سيادة المقدِّم.

انعقد حاجبا (عابد) فى شدة، فى حين تابع (سعيد):

- سيادة اللواء كان هنا، ورآك نائماً، وهو الذى طلب عدم إيقاظك، قائلاً: إنك تحتاج إلى هذا.

ازداد انعقاد حاجبى (عابد)، وهو يغمغم فى توتر:

- كم الساعة الآن؟!

أجابه (سعيد) فى سرعة:

- تجاوزت الواحدة صباحاً ببضع دقائق.

مرّر (عابد) أصابعه فى شعر رأسه، وزفر فى عصبية، وهو ينهض قائلاً:

- لماذا تركتمونى نائماً، حتى هذه الساعة؟!

أشار (سعيد) بيده، قائلاً:

- نحن بشر يا سيادة المقدّم، وكل البشر يحتاجون إلى النوم والراحة، وأنت لم تذق النوم، منذ أكثر من يومين.

قال (عابد) فى عصبية، وهو يلتقط حزام مسدسه، ويرتديه فى حركة حادة:

- هو أيضاً لم يذق طعم النوم... ومادام يستطيع أن يفعلها، وأن يواصل ضرباته ليل نهار، فأنا أيضاً أستطيع.

انعقد حاجبا (سعيد)، وهو يقول:

- سيادة المقدّم... لقد نبهتنى إلى احتمال، لم يدر بخلدنا حتى الآن.

التفت إليه (عابد) بنظرة متسائلة، فتابع فى حماس:

- لماذا يكون سفاحاً متسلسلاً؟!

أجابه (عابد) فى حدة:

- ماذا تفترض أن يكون إذن؟!... لاعب ترابيز، يهوى جمع

الرءوس؟!

قال (سعيد) وحماسه يتزايد:

- أعنى لماذا يكون سفاحاً منفرداً؟!.... لماذا لم نفترض أن له شريكاً؟!

التقى حاجبا (عابد) فى شدة، وهو يغمغم:

- شريك؟!

قالها، وجلس فى بطء، على مقعد قريب، فى حين تابع (سعيد) بكل الحماس:

- أليس هذا أكثر منطقية، من أن نفترض أنه يواصل الحركة بكل النشاط، دون أن يتوقّف ليل نهار؟!

تطلّع إليه (عابد) لحظات فى صمت، وهو يقول لنفسه: إن هذا بالفعل أكثر منطقية... ولكن كم تبلغ مساحة المنطق، فى هذه القضية؟!...

تاريخ السفاحين المتسلسلين لم يذكر واقعة واحدة، عن سفاح متسلسل له شريك...

ثم ماذا عن واقعة ضرب بطل (مصر) فى المصارعة، والتى كانت زوجته نفسها شاهداً عليها؟!...

تداخلت الأمور فى رأسه، على نحو جعله يغمغم:

- ولم ل؟!...

ثم نهض فى حركة حادة، وقال فى حزم، وهو يسحب سترته، ويرتديها فوق حزام مسدسه:

- من أكثر مندوبين الصحف فى الوزارة ميلاً للثرثرة؟!

لم يجد (سعيد) صلة واضحة، بين حديثه وسؤال (عابد)، ولكنه غمغم مجيباً:

- (مصطفى الدالى).

أشار (عابد) إلى هاتفه، وقال:

- اتصل به، وأخبره أنه لديك معلومة، تريد أن تخصه بها.

غمغم (سعيد) فى حذر:

- فى هذه الساعة؟!

أجابه فى صرامة:

- نعم.... فى هذه الساعة.

التقط (سعيد) سماعة الهاتف، وهو يسأل فى تردُّد:

- وأية معلومة تلك، التى سأخبره بها؟!

التقط (عابد) نفساً عميقا وهو يجيب:

- سأخبرك.

ولسبب ما التمعت عيناه...

وبشدة...

• • •

ارتجفت (دينا) زوجة الممثل الشهير (شريف وصفى)، وهى تلتصق به فى رعب، قائلة:

- ياللبشاعة!!.... قتلوا بطل المصارعة وقطعوا رأسه!!... لماذا يفعلون هذا.

وعلى الرغم من أنه يشاركها شعورها وتوترها، حاول (شريف)

أن يخفى مشاعره، خلف ذلك الدور الذى اعتاد لعبه فى أفلامه، كبطل مغوار لا يشق له غبار، وضمها إليه، قائلاً فى خفوت تعمّده؛ حتى لا يكشف ارتفاع صوته توتره:

- هناك عملية ثأر خلف هذا حتماً.

انكمشت بين ذراعيه أكثر، وهى تغمغم فى خفوت:

- أى ثأر هذا، الذى يحتاج كل هذه البشاعة؟!

أشار بيده مغمغماً:

- لا تدرين أبداً كيف يفكِّر الغاضبون.

كانت تهم بإلقاء عبارة أخرى، عندما ارتفع رنين جرس باب الفيلا بغتة، فانطلقت من حلقها صرخة، وهى تلتصق به فى فزع، فربَّت عليها قائلاً:

- ماذا دهاك؟!... إنه جرس الباب فحسب.

صرخت فى رعب:

- فى هذه الساعة؟!

ربَّت عليها مرة أخرى، قائلاً:

- إنها الواحدة والنصف فحسب، والكل يعلم أننا لا نأوى إلى فراشنا قبل الفجر.

ثم اغتصب ضحكة محاولاً تهدئتها، وهو يضيف:

- ثم لا تنسين أنه لدينا خادمتين وثلاثة من رجال الحراسة.

لم تعترض، ولكنها انكمشت بين ذراعيه أكثر، حتى أتت الخادمة الفلبينية قائلة:

- هناك ضابط شرطة يطلب مقابلتك يا شريف بك.

بدت دهشة متوترة على وجه (شريف)، وهو يغمغم:

- ضابط شرطة يطلب مقابلتى أنا؟!.... وفى هذه الساعة؟!

أشارت الخادمة بيدها، قائلة:

- أحد رجال الحراسة اصطحبه إلى هنا.

غمغمت (دينا) فى توتر:

- ربما هذا بشأن الحفل، الذى أقمناه فى الحديقة أمس... جارنا قال: إنه سيشكو الشرطة؛ لما أحدثناه من ضجيج.

غمغم بدوره، وهو ينهض:

- ربما.

ثم أشار إليها، وحاول أن يبتسم، وهو يضيف:

- لا تقلقى... سأعود بعد قليل.

انعقد حاجباه وهو يتطلّع إلى الضابط، الذى أكبر سناً من الرتبة التى يحملها، والذى وقف هادئاً إلى جوار أحد رجال أمن الفيلا، وسأله فى حذر:

- ماذا هناك أيها الضابط؟!

ابتسم الضابط ابتسامة هادئة وقورة، وهو يقول:

- أستاذ (شريف)... كم يسعدنى أن ألتقى بك.... لقد شاهدت كل أعمالك تقريباً.

غمغم (شريف):

- هذا من دواعى سرورى أيها الضابط.

ثم مال برأسه نحوه، مردفاً:

- ولكن هل لى أن أسأل عن سبب زيارتك، فى هذه الساعة من الليل؟!

بدا الضابط شديد الجدية، وهو يجيب:

- الواقع يا أستاذ (شريف) أن حياتك معرَّضة للخطر.

هتف (شريف) فى دهشة مذعورة:

- حياتى أنا؟!

أومأ الضابط برأسه إيجاباً، وقال:

- لقد علمت بالتأكيد، عما أصاب بطل المصارعة.

غمغم (شريف) وخوفه يتصاعد:

- إنها عملية ثأر.... أليس كذلك؟!

هزَّ الضابط رأسه نفياً، مجيباً:

- كلا فى الواقع يا أستاذ (شريف).

ثم أشار إلى حارس الأمن:

- هل يمكننى أن أتحدث إليك على انفراد؟!

خشى (شريف) دعوته إلى داخل المنزل؛ حتى لا يثير خوف ورعب (دينا) أكثر، فأشار بيده مجيباً:

- وهل يمكن أن نفعل هذا فى الشرفة؟!

هزَّ الضابط كتفيه، قائلاً:

- لا بأس.... إن لم تكن ستشعر بالبرد هناك.

رافقه (شريف) إلى مقعدين فى الشرفة، وسأله فى قلق:

- ما الذى يعرِّض حياتى للخطر بالضبط؟!

أجابه ذلك الضابط فى هدوء مستفز:

- الواقع أن جهاز الشرطة يواجه سفاحا شديد الذكاء، بدأ منذ اليوم فى مطاردة وتعقُّب المشاهير.

اتسعت عينا (شريف) فى ارتياع، وهو يقول:

- ولماذا المشاهير؟!

هزَّ الضابط كتفيه مرة أخرى، وقال:

- ربما لأنهم الاكثر جذبا للإعلام.

ارتجف صوت (شريف) مع جسده، وهو يغمغم:

- وهل.... هل يستهدفنى أنا؟!

رمقه الضابط بنظرة استخفاف، وهو يجيب:

- بالتأكيد... إنه يستهدف الاهداف الضعيفة أوَّلاً.

هتف (شريف) مستنكرا:

- ضعيفة؟!

ثم أضاف فى غضب:

- الوصول إلىَّ ليس بهذه السهولة أيها الضابط... الفيلا محاطة بكل نظم الأمن، كما لابد وأنك قد لاحظت، ولدى هناك ثلاثة من رجال الأمن الأقوياء، و....

قاطعه الضابط فى استخفاف:

- وهل تعتقد أن هذا سيوقفه؟!

هتف (شريف) فى حدة:

- بكل تأكيد.

وهنا نهض الضابط فى بطء، وقسا صوته، وهو يقول:

- أنت مغرور واهم إذن.

ذكر هذا (شريف) بمشهد من أحد أفلامه، فرفع عينيه بحركة حادة إلى الضابط، وربط بين لهجته القاسية، وتلك الابتسامة الساخرة الوحشية على شفتيه، فوثب من مقعده، صارخاً:

- أنت لست ضابط شرطة.

هوى الضابط الزائف على وجهه بلكمة كالقنبلة، وهو يقول فى مقت:

- بالطبع لست كذلك.

فوجئ رجل الأمن، الذى يقف بعيداً بما حدث، فمد يده فى سرعة إلى مسدسه، ولكن ذلك الضابط دار حول نفسه فى سرعة مدهشة، سحب خلالها خنجراً من حزامه، وألقاه بكل قوته نحو الحارس، فاخترق الخنجر عنق هذا الاخير، وألقاه أرضاً فى عنف....

وفى هدوء انحنى الضابط المزيَّف، شبه النحيل، على جسد (شريف) يحمله، و....

وفجأة، انطلقت صرخة (دينا)، حاملة كل الرعب...

وفى سرعة، رفع شبه النحيل رأسه إلى تلك الشرفة الصغيرة، التى أطلت منها (دينا)، والرعب يملأ كل لمحة من ملامحها، ثم ابتسم فى سخرية وحشية، وجذب إليه جسد (شريف) الفاقد الوعى...

ودوت رصاصة فى المكان...

ثم رصاصة ثانية...

وأصابت الرصاصة الأولى ذراع شبه النحيل...

أما الثانية، فأصابت صدره مباشرة...

ومن بعيد، رأى الحارسين الآخرين يندفعان نحوه، وكل منهما يستعد لإطلاق رصاصة ثانية...

ومرة أخرى، رفع شبه النحيل عينيه إلى (دينا)، التى شملها الرعب، من قمة رأسها، وحتى أخمص قدميها...

وفى هذه المرة، لم تكن ملامحه ساخرة، أو وحشية...

بل كانت تحمل الغضب والمقت...

كل الغضب...

وكل المقت...

ثم انطلقت رصاصتا الحارسين مرة أخرى...

وفى هذه المرة، ارتطمت رصاصة بصدر شبه النحيل، ومرقت الثانية إلى جوار أذنه اليسرى تماماً...

وبكل رعبها، صرخت (دينا):

- انقذوا (شريف)...

واستعد الحارسان لإطلاق رصاصتين آخريين، وهما يقتربان...

وهنا تخلىً شبه النحيل عن فريسته...

استدار...

ثم وثب...

واتسعت عيون الجميع بكل الذهول والخوف...

فوثبته لم تكن وثبة عادية أبداً....

فعلى الرغم من إصاباته، حملته وثبته لمسافة سبعة أمتار على الأقل، حتى صار إلى جوار سور الفيلا...

وفى نفس اللحظة، التى تسمُر فيها الكل ذاهلين، وثبت وثبة ثانية، تجاوز بها أسوار الفيلا، التى تبلغ ما يقرب من الأمتار الثلاثة ارتفاعاً...

ثم انطلق يعدو مبتعداً فى سرعة مذهلة...

وبكل رعب الدنيا تراجعت (دينا)، وهى تردد مرتجفة، كريشة فى مهب الريح:

- إنه ليس آدمياً... إنه شيطان.... حتماً هو شيطان.

ثم انهارت...

تماماً...

• • •

بدا الصحفى (مصطفى الدالى) مندهشاً بحق، وهو يستقبل الملازم (سعيد) فى منزله، ولم يستطع منع نفسه، من أن يسأله مع اللحظة الاولى:

- ترى ما سر هذه الزيارة، فى مثل هذه الساعة؟!

بدا (سعيد) مرتبكاً، وهو يجيب:

- ألم أخبرك هاتفياً، أنه لدى معلومة شديدة الخطورة والاهمية، رأيت أن أبلغك بها قبل الآخرين؟!

تطلّع (مصطفى) إلى وجهه لحظات فى حذر، قبل أن يقول:

- ولماذا أنا؟!... إننا حتى لم نكن صديقين أبداً... بل على العكس... كنت دوماً تبدى التبرُّم والضيق، كلما حاولت الاقتراب منك!!

استرجع (سعيد) ما لقنه إياه المقدم (عابد)، وهو يجيب:

- ولكننى احترم إخلاصك لعملك.

تطلع إليه (مصطفى) لحظات أخرى، شعر معها (سعيد) بالتوتر، فقال مصطنعا المرح:

- ألن تدعونى للدخول على الأقل؟!

صمت (مصطفى) لحظة، وكأنه يدرس هذا المطلب البسيط، ثم لم يلبث أن أفسح الطريق، قائلاً:

- بالطبع... تفضل يا سيادة الملازم.

دلف (سعيد) إلى المكان، وهو يقول، وكأنما يتعجل إفراغ ما لديه:

- تابعت بالتأكيد قضية بطل المصارعة... اليس كذلك؟!

أجابه (مصطفى) بإيماءة من رأسه فى حذر، فتابع (سعيد) مشيرا بيده، وهو يجلس على المقعد، الذى قاده إليه الصحفى:

- لقد وقعنا على معلومات غاية فى الأهمية، ستوقع بالسفاح المجنون، خلال أقل من أربع وعشرين ساعة.

تراجع (مصطفى)، محدقاً فيه فى دهشة كبيرة، جعلت (سعيد) يبتسم فى صعوبة، وهو يقول:

- معلومة هامة وخطيرة... أليس كذلك؟!

صمت (مصطفى) لحظات، ثم مال نحوه، متسائلاً، فيما بدا أشبه بالشفقة:

- ألم تصلك آخر الاخبار بعد يا سيادة الملازم؟!

كان عسيراً على (سعيد) أن يسأله فى حيرة:

- أية أخبار؟!

مال (مصطفى) نحوه أكثر، مجيباً:

- ذلك السفاح حاول قتل (شريف وصفى) منذ قليل، ولكن حراسة أطلقوا عليه النار.

ردد (سعيد) فى صعوبة:

- أطلقوا عليه النار؟!

أومأ (مصطفى) برأسه إيجاباً، وقال:

- أصابوه برصاصتين فى صدره.

ثم مال نحو (سعيد) أكثر، حتى كان يلتصق به، وهو يضيف:

- ومنذ ربع الساعة فحسب، تم العثور على جثته.

وتراجع (سعيد) كالمصعوق....

فقد كانت معلومة صادمة بالفعل...

إلى حد لا يمكن تصوره...

أبداً...

• • •

الفصل العاشر

فرك (عابد) عينيه، فى توتر وإرهاق، قبل أن يعاود النظر إلى تلك الجثة، الملقاة فى أحد شوارع المدينة الجديدة، والمصابة برصاصتين فى الصدر، وتلفت حوله، سائلاً أحد رجال الشرطة فى عصبية:

- ألم تحضروا (شريف وصفى) هذا؛ للتعرُّف على الجثة؟!

أجابه الضابط فى توتر:

- إنه فى طريقه إلى هنا يا سيادة المقدَّم.

وتردَّد لحظة، قبل أن يضيف فى حذر:

- ولكن كل القرائن تشير إلى أنها جثة ذلك السفاح بالفعل... رصاصتان فى الصدر، تماماً كما قال الحارسان، ووجود الجثة على مسافة قريبة من فيلا الأستاذ (شريف).

تجاهل (عابد) كل هذا، وهو يقول فى عصبية:

- ومادامت مسافة قريبة، فلماذا لم يصل حتى الآن؟!

تردَّد الضابط لحظة أخرى، ثم غمغم فى خفوت متوتر:

- لأنه نجم سينمائى.

تراجع عقب قوله، مع نظرة الغضب، التى رماه بها (عابد)، وهو يقول فى حدة:

- أيمنحه هذا الحق فى التعالى على الشرطة؟!

غمغم الضابط، وتوتره يتصاعد:

- ليس تعالياً يا سيادة المقدَّم.

مال (عابد) نحوه، قائلاً فى حدة:

- أتبحث له عن مبرِّر أيها الضابط؟!

زفر الضابط فى توتر، أنقذه من عصبية (عابد) الزائدة، والتى نقلها إلى (سعيد)، وهو يهتف به:

- أين كنت؟!

أجابه (سعيد) فى توتر مماثل:

- كنت حيث أرسلتنى يا سيادة المقدَّم.

ثم تقدَّم بضع خطوات؛ ليلقى نظرة على الجثة، متسائلاً:

- أهذا هو؟!

غمغم (عابد) فى عصبية:

- إنه حتى لا يشبهه.

التفت إليه (سعيد) فى دهشة، متسائلاً:

- ومن أدراك؟!

أيقن، من تلك الوهلة، التى تردَّد خلالها (عابد)، ومن عصبيته الزائدة، أنه لا يملك أى تبرير لقوله هذا، وهو يقول:

- الكل قال: إنه يميل إلى النحول، مع خدين منتفخين.

غمغم (سعيد) فى حذر:

- ما أراه أمامى هو جثة شخص يميل إلى النحول... أما الخدين المنتفخين، فبقطعتين من المطاط يمكن أن...

قاطعه (عابد) فى حدة:

- (شريف وصفى) هذا لم يصل بعد، لتعرُّف الجثة.

تنحنح (سعيد)، قبل أن يقول:

- نجوم السنما لا يأتون بهذه السرعة..

كانت فرصة (عابد)؛ لينفجر صائحاً، بكل ما تموج به نفسه من انفعالات:

- لماذا يكرِّر الكل هذا، وكأن نجوم السينما من فصيل يخالف كل البشر؟!

تراجع (سعيد) متفادياً عصبيته الزائدة، وهو يقول:

- ليسوا فصيلاً مختلفاً يا سيادة المقدَّم، ولكنهم يعلمون أنه في مثل هذه الحالات، يكون هناك صحفيون، وكاميرات تصوير وخلافه... وهم يحرصون دوماً على الظهور بمظهر لائق.

أشاح (عابد) بوجهه، وهو يقول في حنق عصبي:

- يا للسخافة!!

ظهر (شريف وصفى) في تلك اللحظة، مع زوجته (دينا)، التى تعلقت بذراعه في رعب واضح، أجبر (عابد) على التخفيف من عصبيته، وهو يقول:

- معذرة على إحضاركما إلى هنا، في هذه الساعة يا سيدتى، ولكننا نحتاج إليكما، لتعرُّف من هاجم الأستاذ (شريف) في الفيلا.

غمغمت (دينا) في رعب:

- إنه شيطان.

مطَّ (عابد) شفتيه، وهو يقول:

- كل السفاحين شياطين، ولكن...

قاطعته في انفعال:

- إنه شيطان حقيقى.

ثم تشبَّثت بذراع (شريف) أكثر، وهى تضيف مرتجفة:

- ليس بشرياً حتماً.

كتم (عابد) غضبه في صعوبة، وهو يقول:

- بالتأكيد يا سيدتى... بالتأكيد... ولهذا أحضرناكما، لتعرُّف جثة ذلك الشيطان الذى...

قاطعته مرة أخرى في انهيار:

- الشياطين لا تموت.

شعر (عابد) بالحنق يفوق لباقته هذه المرة، وهم بالصراخ في وجهها، ولكن (شريف) سبقه، وهو يربِّت عليها في حنان، قائلاً:

- اعذر زوجتى يا حضرة الضابط؛ فما مرَّت به الليلة يفوق احتمال البشر.

التفتت إليه (دينا) هاتفة:

- إنه ليس بشرياً يا (شريف).

ثم عادت ببصرها إلى (عابد)، مضيفة:

- إنه ليس بشرياً يا حضرة الضابط.... صدقونى.

تحرَّك (عابد) جانباً، ليكشف الجثة خلفه، وهو يقول في عصبية، لم يستطع كتمانها هذه المرة:

- بغض النظر عن ماهيته... أهذا هو؟!

حدَّق (شريف) و(دينا) في الجثة لحظات، قبل أن تهتف (دينا) في عصبية:

- ليس هو بالطبع...

وبدا وكأنها تنهار، وهى تضيف:

- أخبرتكم أن الشياطين لا تموت.

ربتَ عليها (شريف) مرة أخرى، وقال محاولاً التماسك:

- ليس هو... إنها جثة عم (محمد)... حارس الفيلا المجاورة لنا.

نقل (عابد) بصره بينهما، قبل أن يقول فى صرامة:

- ولكن أحداً لم يسمع دوى أية رصاصات، بخلاف ما أطلقه حراسكم نحوه!

قال (شريف) فى صرامة مماثلة:

- البحث عن تفسير هذا مهمتكم أنتم.

غمغم (سعيد):

- أنت على حق.

رمقه (عابد) بنظرة نارية، وهو قول فى مزيج من الحدة والصرامة:

- إذن فأنتما واثقين من ان هذا ليس هو؟!

هتفت (دينا):

- لماذا لا تصدقون إنه شيطان؟!

ثم حمل وجهها رعب الذكرى، وهى تضيف مرتجفة:

- الشياطين وحدها تستطيع الطيران.

غمغم (سعيد) فى دهشة:

- الطيران؟!

نقل (عابد) بصره بين سعيد والنجم السينمائى وزوجته، قبل أن يقول فى صرامة:

- سيدتى... لقد أثرت فضولى بالفعل، حتى أننى أريد أن استمع منك إلى كل ما حدث.... وبأدق التفاصيل...

وبشبه انهيار، راحت (دينا) تروى....

وانعقد حاجبا (عابد)، حتى كادا يلتحمان...

تماماً...

• • •

داخل ذلك القبو الرطب القديم، استلقى شبه النحيل على منضدة الجراحة...

كان يلهث على نحو متقطع، يتباعد مع مرور الوقت...

وبأصابع نحيلة قوية، التقط قنينة صغيرة، من تلك التى يعدُها من أمخاخ ضحاياه، وسحب بعض ما بها من سائل فى محقنه، ثم حقن السائل فى أوردته...

وبعدها، استرخى تماماً على المنضدة...

ولو أنه هناك من يشاهده فى تلك اللحظات، لاتسعت عيناه عن آخرهما ذهولاً...

وربما رعباً أيضاً...

فتلك الإصابات فى صدره راحت تندمل رويداً رويداً، وفى سرعة جعلت المشهد يبدو وكأنه أحد المشاهد المعالجة رقمياً...

وبينما أغمض هو عينيه، راحت جراحه تلتئم...

وتلتئم...

وتلتئم...

وعندما انتهت هذه العملية العجيبة، بدا جسده وكأنه لم يصب بخدش واحد...

لم تترك جروحه ندبة...

أو حتى أثراً لونياً...

وعلى الرغم من أن هذا يخالف كل القواعد العلمية المعروفة، بدا من الواضح أن شبه النحيل كان يتوقعه...

بل وينتظره...

ومن الواضح أيضاً انه هناك حديث خفى، اعتاد أن يدور، بين عقله وجسده...

ففى نفس اللحظة، التى التئمت فيها أخر خلية من خلاياه، فتح شبه النحيل عينيه، وانبعث منهما بريق عجيب، وهو ينهض فى حيوية بالغة، ويفرد عضلاته فى استمتاع...

وفى شئ من الظفر، اتجه نحو مرآة قديمة، وراح يفحص جسده، قبل أن ترتسم على شفتيه ابتسامة وحشية، ويلتقط نفساً عميقاً من هواء القبو الرطب فى استمتاع، ثم يطلق صيحة ظفر...

كانت صيحة عجيبة، كفيلة بتجميد الدماء، فى عروق أكثر الرجال بأساً وشجاعة...

صيحة أقرب إلى عواء الذئب، منها إلى صوت إنسان عادى...

وفى هدوء واثق اتجه إلى ذلك البراد الصغير، وألقى نظرة على ما تبقى من قنينات سائله العجيب، قبل أن ينعقد حاجبيه...

لم يعد ما لديه يكفى...

لذا، فمن الضرورى أن يخرج لاقتناص ضحية جديدة...

أو رأس جديدة...

إن صح القول...

• • •

" هل تصدق هذا؟!... ... "

ألقى (عابد) السؤال على (سعيد) فى عصبية، فهزَّ هذا الأخير كتفيه، وقال فى تردُّد:

- أقوال الزوجة وحارسى الامن اتفقت على هذا.

هتف (عابد) فى عصبية:

- على ماذا؟!... على أن رجلاً مصاباً برصاصتين فى صدره، يمكنه أن يثب عبر سبعة أمتار، ثم يتجاوز سوراً ارتفاعه يربو على ثلاثة أمتار بقفزة واحدة؟!..

التقط (سعيد) نفساً عميقاً، وبدا عصبياً، وهو يقول:

- ربما تعجز سيادتك عن تصديق هذا، ولكن عندما تتفق أقوال الشهود، لا يكون أمامنا سوى البحث عن تفسير.

لوَّح (عابد) بذراعه كلها، وهو يهتف، فيما بدا أشبه بالصراخ:

- لن أضيع وقتى فى هذه الترهات.

التقط (سعيد) نفساً عميقاً أخر، ثم اندفع يقول فى صرامة، لم يتوقعها هو نفسه:

- سيادة المقدَّم... لابد وأن تحظى بنوم كاف.

التفت إليه (عابد) بنظرة غاضبة مستنكرة، ولكنه تابع بنفس الصرامة، وكأنما أدرك أنه لم يعد هناك سبيل للتراجع:

- أعذرنى يا سيادة المقدم، ولكننى أراك تنهار امامى، وتفقد أعصابك وقدرتك على الحكم على الأمور، فى كل ساعة تمضى... ولو أننى احتفظت بهذا الرأى لنفسى، ولم أصارحك به، أكون خائناً للأمانة.

حدق فيه (عابد) لحظات، وبدا لوهلة وكأنه سينفجر غاضباً، إلا أنه، وعلى العكس تماماً، ألقى جسده على أقرب مقعد إليه، ودفن وجهه فى أحد كفيه، وهو يقول فى مرارة:

- لا أستطيع النوم.

اقترب منه (سعيد)، ووضع يده على كتفه، متسائلاً فى خفوت:

- ولماذا؟!

أجابه، دون أن يرفع وجهه عن كفه:

- الكوابيس يا (سعيد)... كلما خلدت إلى النوم، تنتابنى كوابيس مخيفة..... كوابيس أرى فيها أجساداً بلا رءوس، تطاردنى فى كل مكان.

ربت (سعيد) على كتفه، مغمغماً:

- تحتاج إذن إلى قرص مهدئ.

هز (عابد) رأسه نفياً، وقال:

- تناولت قرصين دون فائدة.

قال (سعيد) فى حزم:

- فلنبحث عن أقراص أكثر قوة إذن.

دفع (عابد) يده فى رفق، ونهض من مقعده، واتجه إلى الأريكة،

واسترخى راقداً عليها، وهو يقول:

- ربما هذا ما يسعى إليه ذلك الحقير بالتحديد.... انهاك الخصم؛ بحيث يفقد تركيزه، وقدرته على استيعاب الأمور.

غمغم (سعيد):

- لا تمنحه هذه الفرصة إذن.

أسبل (عابد) جفنيه، مغمغماً، فى صوت يزداد خفوتاً:

- هذا صحيح... لا ينبغى ان أمنحه هذه الفرصة أبداً.

شعر (سعيد) أن (عابد) قد استنزف الكثير من عصبيته وتوتره، مع تلك الكلمات القليلة التى تبادلاها، إذ سرعان ما هدأ جسده، وانتظمت أنفاسه، وغرق فى سبات عميق...

وفى هدوء، وعلى أطراف أصابعه، غادر (سعيد) الحجرة، وأشار إلى جندى الحراسة، قائلاً فى خفوت:

- مهما كان ما يحدث، لا تزعج سيادة المقدم أبداً.

رفع الجندى يده بالتحية العسكرية فى قوة، هاتفاً:

- أمرك يا باشا.

صاح به (سعيد) فى خفوت:

- قلت لا تزعجه.

خفض الجندى صوته، مكرراً فيما يشبه الهمس:

- كما تأمر يا باشا.

وفى نفس اللحظة، التى ابتعد فيها (سعيد)، عبر ممر مديرية الأمن، كان هناك جسد شبه نحيل، يسير فى خفة قط، على أفريز المبنى

من الخارج، ثم يتوقف عند نافذة حجرة مكتب المقدَّم (عابد)...

وبحركة فنية عجيبة، حطَّم رتاج النافذة من الخارج، مصدراً صوتاً شديد الخفوت، ثم وثب بنفس الخفة داخل الحجرة، وهو يحمل حقيبة صغيرة من القماش...

كانت أضواء الفجر قد بدأت فى التسلل إلى الأفق، عندما ألقى هو نظرة على المقدَّم (عابد) النائم، ثم ابتسم فى ظفر، والتمعت عيناه، حتى بدتا كعينى ذئب...

ثلاث دقائق فحسب، قضاها شبه النحيل فى مكتب (عابد)، قبل أن ينصرف من حيث جاء، تاركاً خلفه رأساً حديثة القطع، مازالت بقايا الدم تسيل منها...

رأس وضعها بالقرب من ذلك الهرم الخشبى المستطيل، الذى يحمل اسم معاون مباحث المديرية...

(عابد)....

المقدَّم (عابد شوقى)...

• • •

صرخة مفاجئة، انطلقت من حلق (دينا)، زوجة (شريف وصفى)، وهى تثب من فراشها شاحبة الوجه، فاحتواها (شريف) بين ذراعيه فى سرعة، وهو يقول مهدئاً:

- كل شئ على ما يرام يا حبيبتى... كل شئ على ما يرام.

هتفت وهى تدفن وجهها ودموعها فى صدره:

- كابوس يا (شريف)... كابوس رهيب.

ربَّت عليها دون تعليق، محاولاً اخفاء توتره، حتى لا يضاعف توترها، وتركها تسكب دموعها على صدره، قبل أن تتابع:

- ذلك الضابط العصبى... لقد رأيته يواجه الشيطان.

غمغم (شريف):

- إنه يستحق هذا.

بكت بضع لحظات أخرى، قبل أن تتابع:

- رأيته يواجه ذلك الشيطان، ويطارده فى ممر طويل مظلم... ويطلق عليه النار.

ثم دفعت وجهها بعيداً عن صدر (شريف)، ورفعت عينيها إلى وجهه، هاتفة فى رعب:

- ولكن الشيطان لم يمت يا (شريف)... لم يمت.

لم يعلِّق على قولها، فعادت تدفن وجهها فى صدره، وتبكى فى حرقة، قبل أن يبتعد وجهها عنه فجأة، هاتفة:

- هو الذى مات.

سألها، وهو يعلم الجواب مسبقاً:

- من؟!

هتفت:

- ذلك الضابط.

ثم امتقع وجهها فى شدة، وهى تضيف:

- الشيطان قطع رأسه.

سرت انتفاضة فى جسده، مع قولها هذا، وشعر بخوفها ينتقل إليه،

فضمها إلى صدره وهو يغمغم:

- إنه كابوس يا حبيبتى.... مجرّد كابوس.

لم يحاول أن يخبرها أنه شاهد كابوساً قريباً من هذا، إلا أنه، ومع ما روته له، وجد نفسه يتساءل..

أهو حقاً مجرّد كابوس؟!..

مجرّد كابوس...

من يدرى؟!...

• • •

ألقى الدكتور (وليد) نظرة على ساعة يده، التى أشارت عقاربها إلى السادسة إلا خمس دقائق، وتثاءب وهو يقول فى حنق:

- أتعشّم أن يكون سبب شديد الخطورة، ذلك الذى دفعك إلى إيقاظى فى هذه الساعة أيها الملازم.

غمغم (سعيد) فى حرج:

- إنه كذلك.

ثم استدرك فى سرعة:

- بالنسبة لى على الأقل.

أتاه السؤال عبر عينى الدكتور (وليد)، دون أن تفصح عنه شفتاه، فأضاف فى سرعة:

- المقدّم (عابد) ينهار.

نجحت عبارته فى جذب انتباه الدكتور وليد، الذى قال فى حماس:

- كنت أعلم أنه أوّل من سينهار.

شعر (سعيد) بالضيق، وهو يقول:

- ليس كما تتصوّر يا دكتور (وليد)... المقدّم (عابد) من أكثر من عملت معهم قوة وصلابة ومثابرة.

ثم مال نحوه، مضيفاً:

- ولكنه لم ينم منذ أكثر من يومين.

قال الدكتور (وليد) فى حنق:

- وماذا يفترض منى أن أفعل؟!... اسقيه كوباً من اللبن الدافئ؟!

أشار (سعيد) بيده، قائلاً:

- لقد حاولت شراء عقار منوم قوى، ولكن كل الصيدليات أخبرتنى أن العقاقير المنومة تحتاج إلى روشتة طبيب متخصّص.

هتف به الدكتور (وليد) فى غضب مستنكر:

- أهذا ما أيقظتنى من أجله؟!... أن أعطيك روشتة دواء منوّم؟!

أسرع (سعيد) يقول:

- ليس هذا فحسب.

وازدرد لعابه فى صعوبة، قبل أن يضيف:

- فما حدث أمس يحتاج إلى تفسير عبقرى متخصّص، ولست اعرف عبقرياً متخصّصاً سواك.

نجح هذا فى تليين ملامح الدكتور (وليد) وصوته، فقال متقمصاً شخصية العالم الوقور:

- قل لى: ماذا حدث أمس.

استرجع (سعيد) ذلك الحوار، وهو يعود بالعقار المنوّم إلى

مديرية الأمن، ولم يستطع منع نفسه من الابتسام؛ للوسيلة التى خدع بها الطبيب النفسى، وامتص غضبه، وغمغم:

- حقاً... كلما علت مناصبهم، سهل خداعهم.

وصل إلى ممر مكتب المقدّم (عابد)، فسأل جندى الحراسة فى خفوت:

- هل استيقظ سيادة المقدّم؟!

أجابه الجندى، فى خفوت مماثل:

- ليس بعد يا باشا.

فتح (سعيد) باب الحجرة فى حذر، ودلف إليها فى خفة، و...

وانتفض جسده كلها بمنتهى العنف...

ومنتهى الرعب...

فما رآه أمامه كان شديد البشاعة...

إلى اقصى مدى ممكن.

• • •

الفصل الحادى عشر

تنحنحت (جميلة) فى حرج؛ لتجذب انتباه والدها، الذى التفت إليها، وهو يداعب صغيرها (أحمد)، وقال فى صوت، حاول أن يدفع إليه أكبر قدر من المرح:

- استيقظت متأخراً اليوم.

غمغمت فى عصبية، لم تستطع كتمانها:

- سأعود إلى منزلى اليوم.

ارتفع حاجباه فى دهشة، وهو يقول:

- هكذا فجأة؟!

أجابته، مطلقة العنان لعصبيتها:

- لقد اخطأت بترك منزلى، وسأعود إليه.

تطلع إليها والدها لحظات فى صمت، ثم قال:

- ستكونين بهذا قد أخطأت مرتين.

صدمها قوله. فغمغمت فى توتر:

- مرتان؟!

أجابها فى حزم:

- عندما غادرت منزلك، لم تحاولى استشارة زوجك... واليوم تتخذين قراراً منفرداً بالعودة، وأيضاً دون استشارة زوجك.

بدت حيرة كبيرة على ملامحها، وشعرت بأطرافها تخذلها، فجلست على أريكة كبيرة، وهى تغمغم:

- وماذا ينبغى أن أفعل؟!

واغرورقت عيناها بالدموع، وهى تضيف:

- إننى أحاول استعادة زوجى.

نهض إليها، قائلاً:

- ولكنك تخطئين السبيل.

قبل أن يصل إليها، ارتفع رنين الهاتف، فتراجع يلتقط سمّاعته، واستمع لحظة إلى محدثه، ثم قال:

- أعرفك بالطبع أيها الملازم... أنت المساعد الأوّل لزوج ابنتى.

صمت لحظات، يستمع إلى (سعيد) فى تركيز، وخفق قلب (جميلة) فى عنف، مع ذلك الشحوب الذى كسا ملامحه، وهو يغمغم مرتجفاً:

- إنه أمر رهيب.... رهيب بالفعل.

أنهى المحادثة، والتفت إلى ابنته، وقد بلغ شحوب وجهه مبلغه...

وفى هذه المرة، لم يخفق قلب (جميلة)...

بل هوى...

هوى بين قدميها...

وبمنتهى العنف...

• • •

نشاط جم، شمل كل طرقات مديرية الأمن...

عشرات من رجال المعمل الجنائى، انتشروا فى كل مكان...

وكل طابق...

وكل حجرة...

وعشرات من رجال البحث الجنائى، راحوا يفحصون المكان،

ويراجعون شرائط الأمن، ويستجوبون مئات العاملين...

وسط كل هذا، اندفع مساعد وزير الداخلية نحو (سعيد)، الذى أدّى التحية العسكرية فى قوة، وشدّ قامته فى وقفة عسكرية، ومساعد الوزير يسأله فى توتر:

- أنت من أبلغ عن الجريمة... أليس كذلك؟!

أومأ (سعيد) برأسه، مغمغماً:

- بلى يا سيادة اللواء.

انعقد حاجبا مساعد الوزير، وهو يقول فى توتر غاضب:

- ذلك السفاح الحقير تجاوز كل الحدود... اغتيال قيادة شرطية، أمر لا ينبغى أن يمر مرور الكرام.

تردّد (سعيد) لحظة، ثم قال:

- السؤال يا سيادة اللواء هو: كيف وصل إلى هنا؟!

أشار مساعد الوزير بيده، قائلاً:

- كل من تراهم هنا، يحاولون إجابة هذا السؤال.

ثم تساءل، وهو يلقى نظرة نحو حجرة المقدّم (عابد):

- وأين تلك الرأس؟!

أجابه (سعيد)، وهو لا يزال فى وقفته العسكرية:

- الدكتور (نشأت) الطبيب الشرعى، يقوم بفحصها الآن.

لم يكد يتم عبارته، حتى ظهر الدكتور (نشأت)، عند مدخل حجرة (عابد)، وملامحه كشفت عن ذلك الانفعال، الذى يعصف بنفسه...

وفى لهفة عصبية، سأله مساعد الوزير:

- ما رأيك يا دكتور (نشأت)؟!

التقط الدكتور (نشأت) نفساً عميقاً، وكأنما يحاول تهدئة نفسه الثائرة، قبل أن يجيب:

- إنه السفاح نفسه بلا أدنى شك... الرأس تم ثقبها من أعلى، والرعب المرتسم على ملامحها، يؤكد أنه قد تم شفط المخ منها، وصاحبها مازال على قيد الحياة.

التقى حاجبا مساعد الوزير، وهو يسأله:

- أهذا يشبه ما فحصته من قبل؟!

أومأ الدكتور (نشأت) برأسه إيجاباً، فتابع مساعد الوزير فى حدة:

- لماذا كل هذا التوتر إذن؟!

بدا الدمع واضحاً فى عينى الدكتور (نشأت)، وهو يجيب:

- ليس فى كل يوم، يفحص المرء رأس صديق قديم.

خفض (سعيد) عينيه، وهو يغمغم فى مرارة:

- أنت على حق.

" لا وقت الآن للدموع.... "...

انبعث ذلك الصوت، من مدخل حجرة عابد، حاملاً قدراً هائلاً من الصرامة، فاستدار إليه الكل، مما جعل صاحبه يتقدم نحوهم، متابعاً:

- ذلك الحقير تحدى جهاز الشرطة كله، وهو أمر يستحيل أن يمر مرور الكرام.

تطلع إليه الرجال الثلاثة دون تعليق لحظات، ثم قال مساعد الوزير فى حزم:

- ألديك خطة محدودة، أيها المقدم (عابد).

شد (عابد) قامته، مجيباً فى توتر:

- ليس بعد.

ارتسمت الدهشة على وجوه ثلاثتهم، فتابع فى حسم:

- ولكن قتله لسيادة اللواء مدير الإدارة، وتمثيله بجثته على هذا النحو، هو إهانة لكل رجل شرطة؛ لذا فلابد من تجنيد كل إمكانيات الوزارة للإيقاع به.

أحاطت بالأربعة ستارة من الصمت، استغرقت بضع لحظات، قبل أن يزيحها الوزير، قائلاً:

- سأحصل من سيادة الوزير على تفويض خاص، يمنحك كل الصلاحيات اللازمة، أيها المقدم (عابد)؛ حتى تطارد ذلك السفاح... قل لى: كم تحتاج من الوقت؟!

أدار (عابد) بصره إلى الدكتور (نشأت) لحظات، ثم اعتدل وفرد قامته، وهو يجيب فى حزم:

- ثمان وأربعون ساعة.

تفجرت الدهشة فى وجوه الجميع، وهو يحدقون فيه، وغمغم (سعيد) فى تردد متوتر:

- سيادة المقدم.

كرر (عابد) فى حزم وصرامة، وكأنه يقطع الطريق أمام أى استنكار أو معارضة أو رفض:

- ثمان وأربعون ساعة فحسب.

تطلع إليه مساعد الوزير لحظات، قبل أن يسأله:

- هل تعتقد أنها تكفى أيها المقدَّم؟!

ألقى (عابد) نظرة على ساعة يده، ثم أجاب فى حزم:

- إنها الحادية عشرة وعشر دقائق من يوم الاثنين يا سيادة اللواء.

ولسبب لم يفهمه أحد، شدَّ قامته أكثر، وارتفع صوته، حتى بدا مسموعاً لكل من فى الطابق، وهو يضيف بكل الحزم:

- وإن شاء الله سبحانه وتعال، فقبل الحادية عشرة وعشر دقائق، من ظهر الأربعاء القادم، ستكون رأس ذلك السفاح المجنون على سطح مكتبى.

ومرة أخرى، ساد الصمت، وتفجرت الدهشة فى كل الوجوه...

ففى رأس كل منهم، دار سؤال واحد...

هل يعى المقدَّم (عابد) بالفعل ما يقول؟!...

ولكن أحداً منهم لم يجب أو يحاول إجابة السؤال...

على الإطلاق...

• • •

وثبة عجيبة، تلك التى وثبها شبه النحيل، من أعلى مبنى قديم، فى حى (المعادى) إلى شرفة مكتب (مروة)...

كان المكتب خالياً، فى تلك الساعة من الصباح، إلا من سكرتيرة وعامل تنظيف طاعن فى السن...

وكان من الواضح أنه يعلم هذا جيداً...

ففى هدوء، دفع باب الشرفة، ودلف إلى مكتب (مروة)...

كان عامل التنظيف قد ترك الشرفة نصف مفتوحة؛ حتى ينتهى من تنظيف المكتب، مستغلاً الفترة الصباحية، التى ينشغل خلالها محامو المكتب، فى متابعة القضايا المنظورة أمام المحاكم المختلفة...

وفى خفة، اتجه شبه النحيل إلى دولاب حفظ المستندات، المجاور لمكتب (مروة) وألقى نظرة لا مبالية، على القفل الكبير الذى يغلقه، ثم أمسك القفل بيديه، وجذبه فى قوة تفوق قوة البشر، فانتزع الرتاج من مكانه، وجذب أدارج الدولاب فى هدوء، ثم التقط ملفاً بعينه، من بين جميع الملفات، التى اكتظت بها الادراج، و....

" من أنت؟!... وماذا تفعل هنا؟!.... "...

صرخ عامل النظافة بالسؤالين، وهو يتراجع مذعوراً، ثم لم يلبث ذعره هذا إن تحوَّل إلى رعب هائل، عندما التفت إليه شبه النحيل، بعينين ناريتين، جعلتاه يطلق صرخة فزع، ارتجفت لها سكرتيرة المكتب، وانكمشت فى مقعدها، وعيناها تتسعان رعباً وفزعاً، فى حين حاول عامل النظافة التراجع، إلا أن شبه النحيل وثب نحوه، وجذبه من عنقه إليه فى قوة، فهتف العامل المسكين متوسلاً:

- لن أخبر أحداً... أقسم أننى لن أفعل.

ولكن الأصابع شبه النحيلة اعتصرت عنقه، بقوة تفوق المحتمل، فاتسعت عينا المسكين عن آخرهما، وجحظتا لحظة فى رعب وألم...

لحظة واحدة، انبعثت بعدها من عنقة قرقعة مخيفة...

قرقعة مالت بعدها رأس الرجل على كتفه، وفارق بريق الحياة عينيه، و...

صرخة رعب أخرى انطلقت، من حيث وقفت سكرتيرة المكتب،

عند باب حجرة (مروة)، فاستدار إليها شبه النحيل، بتلك النظرة النارية المخيفة، مما جعلها تتراجع بكل رعب الدنيا، وهى تلوِّح بذراعيها أمام وجهها، صارخة:

- أنت؟!... مستحيل!!.... مستحيل!!..

ثم لم تجد الوقت أو الحياة بعدها، لتنطق كلمة إضافية...

أو حتى حرف واحد...

أبداً...

• • •

بدون أن تشعر (مروة)، تعلَّقت بذراع (سعيد)، ودفنت وجهها فى صدره، وهى ترتجف باكية، وهاتفة:

- ولكن لماذا؟!.... لماذا؟!

كانت دموعها تسيل أنهاراً على صدر (سعيد)، الذى شعر بالحرج، مع النظرة التى رماه بها (عابد)، فأبعدها عنه قليلاً، وهو يغمغم:

- إننا نسعى لفهم هذا يا أستاذة.

رفعت عينيها الدامعتين إليه، هاتفة:

- لقد قتلهما بلا رحمة.

انعقد حاجبا (عابد)، وهو يغمغم فى توتر:

- هذا لو افترضنا أنه هو.

سأله (سعيد) فى دهشة:

- ماذا تعنى؟!

أشار (عابد) إلى جثة السكرتيرة، مجيباً:

- لم يقتل إمرأة من قبل.

قال (سعيد) متوتراً:

- لقد باغتته على الأرجح، و...

قاطعه (عابد) فى صرامة:

- سنرى.

ثم التفت إلى المحامين، الذين عادوا إلى المكتب، إثر إبلاغهم بما حدث، وسألهم فى صرامة:

- من أوَّل من كشف الجريمة؟!

بدا (عطية) وكيل المكتب شديد التوتر، وهو يجيب:

- أنا.

التفت إليه (عابد) فى بطء، وقال فى هدوء شديد، وفى لهجة ذات مغزى، لم يخف على أحد:

- أنت؟!

أجاب (عطية)، فى عصبية واضحة:

- أنا من يعود إلى المكتب أوَّلاً كل يوم.

تجاهل (عابد) عبارته هذه تماماً، وكرَّر فى تفكير:

- أنت!!

ثم أشاح بوجهه عنه، بطريقة أزعجت وكيل المكتب أكثر، وأشار بيده إشارة عامة، قائلاً:

- سيصل خبير مسرح الجريمة إلى هنا بعد قليل؛ ليشرح لنا كيف تمت عملية القتل المزدوجة، و...

قاطعته (مروة) فى انفعال:

- لا داع لهذا.

التفت الكل إليها فى تساؤل، فأضافت فى عصبية، وهى تتحاشى النظر إلى وجوه الجميع:

- هناك وسيلة أكثر دقة.

انعقد حاجبا (عابد)، وهو يتطلع إليها، ثم رفع عينيه إلى (سعيد)، الذى مازالت هى تتعلق بذراعه، فأومأ (سعيد) برأسه إيماءة خفيفة، علامة على الفهم، ومال برأسه نحو (مروة)، يسألها فى هدوء، لم يخل من الحزم:

- أين هى؟!

رفعت (مروة) عينيها إليه، فى توتر شديد، جعله يتابع:

- أين كاميرا المراقبة؟!

اتسعت العيون كلها، فى دهشة مستنكرة، فى حين أشاحت هى بوجهها بعيداً عنهم أكثر، وهى تشير بيدها، مغمغمة فى خفوت:

- هناك... فوق إطار الباب.

غمغم (عطية) مستنكراً:

- كاميرا مراقبة؟!.... كنت نتصوَّر أنك تمنحينا ثقتك يا أستاذة.

أجابه (عابد)، وهو يرفع عينيه إلى الكاميرا،التى أخفيت فى مهارة:

- ومن يستحق الثقة فى هذا الزمن، يا أستاذ (عطية).

أما (مروة) فلم تضف حرفاً وحداً، وهى تشعر أن عيون العاملين فى مكتبها تخترقها كسهام من نار...

أو من الجحيم...

ذاته...

● ● ●

" أنت.... مستحيل!!.... مستحيل!!.... .."

أعاد المقدَّم (عابد) تلك الصرخة، التى أطلقتها سكرتيرة (مروة) قبيل مصرعها، مرات ومرات، قبل أن يلتفت إلى (مروة) و(سعيد)، قائلاً فى صرامة:

- ما رأيكما الآن؟!

غمغم (سعيد):

- إنه شخص تعرفه.

اندفعت (مروة) تقول فى إصرار عنيف:

- ولكنه ليس (عطية) حتماً.

بدا (عابد) صارماً غاضباً، وهو يقول:

- ولماذا تدافعين عنه بهذا الحماس؟!

أجابته بنفس العناد:

- لأنه يعمل لدى منذ أكثر من خمس سنوات، وعم (ناجى) يعرفه جيداً، ومن المستحيل أن ينخدع به، حتى لو كان أستاذاً فى التنكر.

ضغط (عابد) زر إعادة العرض، وهو يقول فى حزم:

- شاهدى هذا مرة أخرى إذن.

عاد جهاز العرض يبث الفيلم الرقمى، الذى سجلته كاميرا المراقبة، منذ أن اقتحم شبه النحيل المكان، وحتى غادره، مروراً بواقعة قتل عامل النظافة والسكرتيرة...

وفى هذه المرة، أضاف (عابد) تعليقه، قائلاً:

- انظرا جيداً.... إنه يعرف طريقه على نحو واضح، مما يوحى بأن المكان ليس غريباً عليه... وهو يعرف موضع كاميرا مراقبتك السرية أيضاً.

هتفت فى توتر:

- مستحيل!!.... لم يكن يعلم بوجودها سواى.

استدار إليها (عابد) وأوقف العرض بضغطة زر، وهو يسألها فى صرامة:

- فسِّرى لى: لماذا لم تعرض الكاميرا وجهه مرة واحدة، منذ دخوله إلى حجرة مكتبك، وحتى خروجه منها؟!

قالت فى غضب وعناد:

- مجرَّد مصادفة.

أشار (عابد) إلى (سعيد)، يسأله:

- أهذا ما يبدو لك؟!

هزَّ (سعيد) رأسه نفياً فى بطء، قبل أن يجيب:

- كلا.... إنه يتحاشى كاميرا المراقبة عمداً.

هتفت (مروة) متوترة:

- هو ليس (عطية) إذن، فهو لا يعرف حتى بوجود الكاميرا.

سألها (عابد) فى سرعة:

- ومن أدراك؟!

أجابته فى تحد:

- لقد رأيت دهشته المستنكرة، عندما علم بوجودها.

مال (عابد) نحوهما، قائلاً فى تحد مماثل:

- أى ممثل بارع، يمكنه أن يصطنع هذا.

هتفت به فى حدة:

- ألق القبض على (شريف وصفى) إذن.

تراجع ينظر إليها فى تحد، ثم أشار إلى (سعيد)، قائلاً فى صرامة آمرة:

- ألق القبض على (عطية).

التقى حاجبا (مروة) فى غضب، وهى تقول:

- أنا أمنعكما.

أجابها (عابد) فى برود:

- لا يمكنك هذا.

هتف غاضبة:

- أنا محاميته.

أجاب (عابد) بنفس البرود:

- ترافعى عنه أمام المحكمة إذن.

ثم هتف بـ(سعيد) فى حدة:

- ماذا تنتظر؟!

تردَّد (سعيد) لحظة، وهو ينقل بصره بين (عابد) و(مروة)، ثم قال:

- سألقى القبض عليه فوراً.

غادر حجرة مكتب (مروة)، التى قالت فى حدة:

- ستحاسب على أسلوبك هذا أيها المقدَّم.

ابتسم ابتسامة، تجمع ما بين السخرية والتوتر، وهو يقول:

- سيسعدنى هذا.

لم يكد ينطقها، حتى اندفع (سعيد) إلى الحجرة، وبدا وكأنه يلهث، وهو يهتف:

- الأستاذ (عطية).

التفتت إليه (مروة) فى حركة حادة، فى حين سأله (عابد) بكل التوتر:

- ماذا عنه؟!

لهث (سعيد) لحظة، ثم أجاب فى انفعال جارف:

- لقد هرب.

فى نفس اللحظة، التى ألقى فيها جوابه الصادم، كان والد (جميلة) يتطلَّع فى شك حذر، إلى رجل الشرطة الذى يقف أمامه، وهو يسأله فى قلق:

- أأنت واثق من أن زوج ابنتى هو من أرسلك إلى هنا؟!

بدا رجل الشرطة شديد التهذيب، وهو يجيب فى احترام:

- بالتأكيد يا سيدى، ويمكنك الاتصال به؛ للتأكد من هذا.

مطَّ الأب شفتيه فى استهجان، وهو يقول:

- لقد حاولت، ولكنه لا يجيب هاتفه.

قال رجل الشرطة، بنفس الاحترام المهذَّب:

- سيادة المقدَّم شديد الانشغال، بسبب ما قلت أن مساعده قد اخبرك به فى الصباح يا سيدى، ولهذا أرسلنى لنقل زوجته وابنه إلى مكان آمن؛ إذ يخشى أن يعرف ذلك السفاح موقعهما الحالى.

تساءل الوالد، وهو يحاول إجراء الاتصال ب(عابد) مرة أخرى:

- ألا يمكنك الانتظار قليلاً.

أمال رجل الشرطة رأسه، وهو يقول فى حزم:

- الوقت يمضى يا سيدى.

انتقل قلق الأب إلى (جميلة)، التى ضمت (أحمد) إلى صدرها فى قوة، وكأنها تحاول حمايته من خطر مجهول، ومالت برأسها أكثر، لتستمع على نحو أوضح، إلى حديث والدها مع رجل الشرطة...

ولسبب ما، أصابها صوته بالكثير من التوتر...

إنه صوت سمعته من قبل...

أو سمعت ما يشبهه على الأقل...

ولأن الكثير من الشكوك قد دارت فى رأسها، مالت أكثر؛ لتلقى نظرة على رجل الشرطة،و....

وانطلقت من حلقها شهقة قوية، وهى تتراجع بكل ذعر الدنيا، صارخة:

- إنه هو.

وبكل توتر الدنيا، تراجع والدها...

ومع ابتسامة شيطانية رهيبة، هوى رجل الشرطة الزائف على فكه...

وبمنتهى منتهى القوة.

• • •

الفصل الثانى عشر

" إنه هو.... ... "

قالها (عابد) فى مقت واضح، وهو يقف وسط منزل والد زوجته، الذى بدا منهارا تماما، وهو يبكى فى حرقة، قائلاً:

- انتحل شخصية رجل شرطة، و....

قاطعه (عابد) فى عصبية:

- سمعت هذا منك ثلاث مرات من قبل...

حاول أن يهدئ من ثائرته، حتى يمكنه التفكير فى هدوء، إلا أن كل ذرة فى جسده كانت ترتجف غضبا ومقتا وانفعالا، فأضاف فى حدة:

- صف لى ما حدث بالضبط.

بكى الرجل، وهو يقول:

- لست ادرى إلا ما أخبرتك به... لقد لكمنى ففقدت الوعى، واستيقظت فلم أجد (جميلة) أو (أحمد)...

وانهار باكياً، وهو يكمل:

- لن احتمل رؤية ابنتى أو حفيدى مقطوعى الرأس، أو...

صرخ فيه (عابد):

O كفى.

لم يكن يحتمل مجرّد التفكير فى الأمر...

هذا لأنه يعلم أن الشيطان لن يتورّع عن هذا لحظة..

لحظة واحدة..

برز (سعيد) فى هذه اللحظة، عند مدخل المنزل، الذى ازدحم

برجال الادلة الجنائية والبحث الجنائى والطب الشرعى، وقال فور ظهوره:

- لم يمر بأحد من رجال الحراسة يا سيادة المقدم.

انعقد حاجبا (عابد) فى شدة، وهو يقول فى توتر:

- أى شئ نواجهه بالظبط؟!

غمغم (سعيد) فى دهشة:

- شئ؟!

لوَّح (عابد) بذراعه كلها فى حنق، وهو يقول:

- بالطبع... ما قالته زوجة (شريف وصفى) لم يكن مبالغاً.... إنه يقوم بأمور تتجاوز بكثير قدرات البشر... هى وحرَّاس الفيلا رأوه يثب فى سهولة، عبر سور ارتفاعه ثلاثة أمتار، وعندما وضع رأس سيادة اللواء على مكتبى، لم يجد رجال الأدلة الجنائية آثار دخول، إلا عبر النافذة، التى ترتفع ثلاثة طوابق عن الأرض، وهنا... هنا وصل إلى باب منزل والد زوجتى، دون أن يمر بشخص واحد من رجال الحراسة، الذين أحطنا بهم المكان.... أضف إلى هذا ذلك الفيلم، الذى سجلته كاميرا الأستاذة (مروة) السرية، والتى ترصده يدخل عبر النافذة، فى الطابق الرابع.

انعقد حاجبا (سعيد)، وهو يقول:

- مازال هذا يحيرنى؟!...

صاح به (عابد) فى انفعال:

- يحيِّرك؟!.... ألم تكن معى، عندما شاهدنا ذلك الفيلم سوياً؟!... أم أنك كنت مشغولاً بملامسة تلك المحامية؟!

بدا الغضب على وجه (سعيد)، وهو يقول:

- كنت يقظاً تماماً يا سيادة المقدم، ولهذا أشعر بالحيرة.

ثم تقدم خطوتين نحو (عابد)، قبل أن يكمل:

- لو أنه يعلم بوجود كاميرا المراقبة السرية، ويخفى وجهه عنها، فلماذا تركها فى مكانها، بعد أن هتفت سكرتيرة الأستاذة المحترمة (مروة)، بأنها تعرفه؟!

لم يغب عن (عابد) تعمُّده الضغط على حروف كلمة (المحترمة) هذه، ولكنه آثر أن يتظاهر بعدم الملاحظة، وهو يقول فى توتر:

- ملاحظة فى محلها...

ثم استدرك فى حدة:

- ولكنها لا تفيد فى هذه الحالة، فى استعادة زوجتى وابنى... إننا حتى لا نعلم أين ذهب بهما ذلك الحقير، وهل هما على قيد الحياة، أم...

قاطعه صوت مألوف فى حزم:

- إنهما على قيد الحياة.

استدار (عابد) فى حركة حادة إلى مصدر الصوت، وانعقد حاجباه فى غضب، وهو يهتف:

- ماذا يفعل هذا هنا؟!

بدا الغضب على وجه الدكتور (وليد)، وهو يقول:

- لم أحضر من تلقاء نفسى.

تنحنح (سعيد)، وقال فى سرعة:

- أنا طلبت منه الحضور.

التفت إليه (عابد) فى حدة، هاتفاً:

- أنت؟!

أسرع (سعيد) يقول:

- إننا نتحدث هنا عن ابنك وزوجتك، وسفاح مجنون.... وهذا يستلزم الاستعانة بكل مساعدة ممكنة.

صمت لحظة، ثم استدرك فى توتر:

- وبلا حساسيات.

ازداد انعقاد حاجبى (عابد)، وهو يعود ببصره إلى الدكتور (وليد) فى حدة، ويسأله فى عصبية:

- هل تعتقد أنك تستطيع المساعدة فى هذا؟!

أجابه (وليد) فى ثقة:

- إلى حد كبير.

عقد (عابد) ساعديه أمام صدره، وهو يقول فى عصبيته الزائدة:

- كلى آذان مصغية.

لم يرق هذا الأسلوب للدكتور (وليد)، إلا أنه قال:

- ما فعله ذلك السفاح، يثبت أنك قد اقتربت منه إلى حد كبير.

قال (عابد) فى حدة:

- لقد كشفنا من هو بالفعل.

رمقه الدكتور (وليد) بنظرة لم ترق له، ثم تابع فى حزم:

- إنه لن يحاول قتل زوجتك وابنك، بل سيستخدمهما كطعم

للإيقاع بك أنت، ولهذا لابد وأن تتخذ قراراً هاماً؛ لو أردت استعادتهما.

سأله (عابد) فى توتر:

- أى قرار؟!

أجابه فى حزم:

- التنحى عن القضية.

اتسعت عينا (عابد) عن آخرهما، واحتقن وجهه فى شدة، وبدا فى وضوح أنه سينفجر فى وجه الدكتور (وليد)، فى حين هبَّ والد (جميلة) من مقعده، هاتفاً فى استنكار:

- فى مثل هذه الحالة؟!.... من سيسترجع ابنتى وحفيدى إذن؟!

بدا (وليد) شرساً، لأوّل مرة فى حياته، وهو يقول فى صرامة:

- ما أقوله هو السبيل الوحيد لاستعادتهما.

ثم تضاعفت صرامته، وامتزجت بغضب شديد، وهو يواصل، موَجهاً حديثه إلى (عابد) مباشرة:

- ولقد سئمت معارضة ما أقول، من إناس ليست لديهم أية خبرة أو دراسة، فى علم النفس الجنائى... ولو أردتم الاعتماد على أنفسكم، بدلاً من إفراغ انفعالكم فى كل من يحيط بكم، فمرحباً بكم، وسأعود إلى عيادتى، لأمارس عملى بالاحترام اللازم، الذى يفترض أن يستحقه عالم مثلى.

تراجع والد (جميلة) مصدوماً، فى حين بدا وكأن (عابد) يدير الأمور فى رأسه، محاولاً فى استماتة السيطرة على أعصابه الثائرة، وهو يغمغم فى صعوبة:

- ولكنك تطالبنى بالتنحى عن القضية، فى أدق مراحلها!!.

قال الدكتور (وليد) بنفس الصرامة:

- ليس هذا فحسب، ولكنك ستعلن هذا رسمياً وإعلامياً، وستعلن فشلك فى كشف غوامض هذه القضية أيضاً.

استعاد وجه (عابد) كل توتره، وهو يهتف:

- محال.... هذا ما يريده بالضبط.

مال الدكتور (وليد) نحوه، قائلاً:

- وهذا ما سنمنحه إياه.

وقبل أن يهتف (عابد) معترضاً، اعتدل (وليد) فى حركة حادة، مستدركاً:

- ظاهرياً.

تراجع والد (جميلة) فى دهشة، وانعقد حاجبا (عابد) فى شدة، فى حين قال (سعيد) فى اهتمام:

- سنخدعه إذن.

أشار (وليد) بسبّابته، قائلاً:

- المهم أن يحدث هذا فى سرعة.

تساءل (عابد) فى حذر:

- أتعنى أن أنطلق خلفه على الفور؟!

اعتدل (وليد)، قائلاً فى حزم:

- إنك لن تنطلق خلفه حالياً.

هتف والد (جميلة) فى غضب:

- أى خبل هذا؟!

استدار إليه (وليد)، قائلاً فى صرامة:

- الخبل هو أن ينطلق سيادة المقدّم، بكل هذا التوتر، وكل ذلك الانفعال، الذى يمنعه من اتخاذ أى قرار حكيم، أو خطوة سليمة، فى مواجهة سفاح دموى بلا رحمة أو شفقة، شديد الذكاء، ويملك مفاتيح اللعبة.

ثم مال بحركة حادة، نحو والد جميلة، على نحو جعل هذا الأخير يتراجع فى توتر، مكملاً:

- فى هذه الحالة لن تستعيد ابنتك وحفيدك حتماً، ولكنك قد تخسر زوج ابنتك أيضاً.... وربما حتماً كذلك.

امتقع وجه والد (جميلة)، وانعقدت الكلمات فى حلقه، فى حين احتقن وجه (عابد)، وهو يقول:

- هل تعلم ما الذى تطلبه منى بالضبط يا رجل؟!... أن يختطف سفاح مجنون، يعشق قطف الرءوس زوجتى وابنى، فأجلس أنا هنا صامتاً، وأترك لغيرى مهمة السعى لاستعادتهما؟!

أشار (وليد) بسبّابته، قائلاً:

- علم نفس الجريمة يقول...

قاطعه (عابد) فى صرامة:

- هراء.

تفجّرت دهشة مستنكرة فى وجه الدكتور (وليد)، فى حين تابع (عابد) بكل انفعاله، وهو يضرب صدره بقبضته:

- لقد تجاوز ذلك الحقير الحدود، ولن أسمح له بالعبث بى، أو

المساس بأسرتى... إننى سوف..

قاطعه رنين هاتفه المحمول المفاجئ، فالتقطه فى سرعة مكملاً:

- سوف ألقنه آخر درس فى حياته، و...

قالها وهو يضغط زر الاتصال، ثم بتر عبارته بغتة، عندما سمع صوتاً قاسياً ساخراً، يقول:

- والآن ماذا يا (هولمز) الداخلية؟!

وانتفض جسد (عابد) بقوة...

بمنتهى منتهى القوة...

فذلك السفاح قد تجاوز الحدود بالفعل...

وإلى حد مستفز...

للغاية....

• • •

بكل التوتر، راحت (مروة) تراجع كل ملفاتها؛ فى محاولة لمعرفة أى ملف اتى ذلك السفاح لسرقته....

ولماذا؟!...

ما صوّرته كاميرا المراقبة السرية يشير إلى أنه لم يأت إلى مكتبها، لقتل عامل النظافة والسكرتيرة...

لقد أتى من أجل ملف ما...

ملف بعينه...

وذلك الملف يحوى حتما ما يمكن أن يقود إليه...

ولكن ما هو؟!...

ما هو؟!!...

" أستاذة (مروة)...." ...

انتفض جسدها كله فى رعب، عندما سمعت ذلك الصوت يهمس باسمها، وانطلقت من حلقها شهقة قوية، فتراجع عم (ناجى) فى ذعر مماثل، وهو يهتف فى ضعف:

- ماذا فعلت؟!

هتفت به فى غضب:

- عم (ناجى)؟!.... ماذا تفعل هنا؟!

انكمش الرجل على نحو يدعو للشفقة، وهو يغمغم مرتبكاً:

- نحن فى أوّل الشهر يا أستاذة.

زفرت فى عصبية، وقال:

- آه.... راتبك.... كدت أنسى.

ثم أشارت إلى مقعد قريب، قائلة:

- اجلس يا عم (ناجى).

غمغم فى ارتباك:

- عفواً يا أستاذة.

أشارت إليه مرة أخرى:

- اجلس... اريد أن أتحدث معك.

غمغم فى دهشة:

- معى أنا؟!

بدت صارمة هذه المرة، وهى تكرر:

- اجلس.

جلس فى سرعة مرتبكة، فراحت ترص بعض الأوراق على سطح مكتبها، قبل أن تسأله فجأة:

- لماذا سمحت لـ(يزبك) الزائف هذا بدخول الفيلا؟!

بدا مأخوذاً بالسؤال، وهو يغمغم:

- أنت سمحت بهذا يا أستاذة.

هتفت مستنكرة:

- أنا؟!

ثم مالت نحوه فى حركة حادة، قائلة:

- لماذا تكذب يا عم (ناجى)؟!

هتف الرجل مذعوراً:

- أكذب؟!.... ولماذا اكذب يا أستاذة؟!...

نهضت فى حركة أكثر حدة، صائحة فى وجهه:

- لأننى لم أتصل بك مطلقاً منذ سفرى.... لا بشأن (يزبك) الزائف هذا، ولا بأى شأن آخر، وأنت تعرف رقم هاتفى جيداً.

بدا الرجل أقرب إلى البكاء، وهو يقول:

- وكيف اعرفه يا أستاذة؟!... أنا لا أجيد القراءة أو الكتابة حتى!

اتسعت عيناها، وهى تتراجع، جالسة على مقعدها فى بطء....

كيف فاتها هذا؟!...

كيف فاتها أن عم (ناجى) أمى؟!...

كيف؟!...

" ولكنك تعرف صوتى على الأقل.... "...

هتفت به فجأة، على نحو جعله ينتفض على مقعده، ويهبُّ واقفاً، وهو يقول مرتجفاً:

- وذلك الصوت هو ما طلب منى السماح للأستاذ (يزبك) بالإقامة فى الفيلا.

صرخت فيه بكل انفعالها:

- كاذب.

حدّق فيها لحظة، ثم انفجر فجأة باكياً، على نحو جعلها تشعر بمزيج من الشفقة والندم، حتى أنها نهضت إليه، وربّتت على كتفه، مغمغمة فى توتر:

- اغفر لى يا عم (ناجى).... لقد واجهت ضغوطاً عصبية شديدة، منذ الصباح.... مقتل السكرتيرة وعامل النظافة، وتفتيش الشرطة والأدلة الجنائية لكل شبر من مكتبى، ثم ذلك الملف المسروق، و...

قاطعها فجأة صوت صارم، يقول:

- هذا بالضبط ما ينبغى التركيز عليه.

انتفضت وهى تلتفت إلى (سعيد)، الذى وقف عند باب حجرتها، وهتفت فى حدة:

- ألم يعد هناك من يطرق الأبواب هذه الأيام؟!

تجاهل تعليقها المحتد، وهو يقول بنفس الصرامة:

- هناك فريق فنى كامل، يعمل على تحليل لقطات ذلك الفيلم،

الذى صوّرته كاميرا التصوير الخفية فى مكتبك، بحثاً عن أى طرف خيط، يمكن أن يقود إلى ذلك السفاح.

غمغم عم (ناجى) فى تلقائية:

- إن شاء الله.

التفت إليه (سعيد)، وكأنما يراه لأوّل مرة، والتقى حاجباه فى ضيق، وهو يشير إليه، قائلاً:

- انتظر فى الخارج يا عم (ناجى).

تردّد البستانى لحظة، أدركت (مروة) خلالها سبب تردّده، فسحبت ورقة من سطح مكتبها، وقالت وهى تخط عليها بضع كلمات فى سرعة:

- لا داع للانتظار يا عم (ناجى).... خذ هذه الورقة إلى الأستاذ (حسن)، وسيصرف لك راتبك.

انتظر (سعيد)، حتى خرج عم (ناجى) لصرف راتبه، ثم أغلق الباب خلفه، وقال فى صرامة:

- محاموك لم يتوقعوا وجود كاميرات مراقبة.

قالت فى عصبية:

- ليس كاميرات، بل كاميرا واحدة، هنا فى مكتبى.

ثم أضافت فى حدة:

- إنه مكتبى الشخصى، وهذا حقى.

صاح بها فى صرامة:

- كلا.... ليس حقك.

تراجعت مصدومة؛ لصرامته وغضبه، وذلك الانفعال الذى ارتسم

على ملامحه، وهو يكمل:

- الكاميرا لا تقوم بتصويرك وحدك، ولكنها تلتقط صور وأحاديث موكليك أيضاً، وهذا ليس من حقك.

قالت فى عصبية شديدة:

- الطبيب النفسى يسجّل أحاديث مرضاه.

صاح فيها:

- بمعرفتهم ورضاهم.

تطلعت إليه لحظات فى صمت، وعيناها تحملان حزناً وعتاباً شديدين، ثم لم تلبث أن أشاحت بوجهها عنه، وهى تغمغم:

- أطلب من فنييك أن يفحصوا كاميرا المراقبة جيداً، وسيخبروك أنها مجهزة بحيث تعمل عكسيا مع مصباح الإضاءة فى الحجرة، فما ان تطفئ الأنوار، حتى تبدأ عملها على الفور.

وعندما عادت بنظرها إليه، كانت عيناها مغرورقتين بالدموع، وهى تضيف فى مرارة:

- ولست أظنك ستتهمنى باستقبال الموكلين فى الظلام.

انفطر قلبه لدموعها، على نحو جعله يزدرد لعابه فى صعوبة، وهو يغمغم، محاولاً التشبث بصرامته:

- وماذا عن جهاز التنصّت، تحت إطار مكتبك؟!

اتسعت عيناها عن آخرهما، وهى تهتف مذعورة:

- جهاز تنصّت؟!.... أقسم لك أننى لم أضع هنا أى جهاز تنصّت.

وانعقد حاجبا (سعيد) فى شدة..

هذا لأن ماقالته يقلب كل الأمور رأساً على عقب... تماماً...

• • •

" لن أستطيع.... "...

هتف بها (عابد) فى حدة، فى وجه الدكتور (وليد)، وهما ينطلقان معاً فى سيارة الأوّل، متجهين إلى مديرية الأمن...

وفى ضيق، التقط (وليد) نفساً عميقاً، وقال:

- خطأ يا سيادة المقدم..... خطأ... الاتصال الذى قام به ذلك السفاح هو جزء من اللعبة... إنه يسعى لاستفزازك، وتدمير م تبقى من أعصابك، حتى يقودك إلى ما يريده هو بالضبط.

هتف (عابد):

- ذلك الحقير يتبجح بأن زوجتى وابنى لديه، وأنه يستطيع أن يرسل لى رأسيهما فى أية لحظة.... قالها دون أن ينتظر رداً... فقط أطلق تلك الضحكة الشيطانية الحقيرة الساخرة، قبل أن ينهى الاتصال.

قال (وليد) فى ضيق:

- وفقدت أنت أعصابك، وقررت أن تكمل مطاردته، على الرغم من كل ما أحاول نصحك به.

صاح به (عابد) فى حدة:

- ما تقوله مجرد تحليل نظرى يا دكتور... ربما تكون خبيراً فى علم نفس الجريمة، ولكننى خبير فى الجريمة نفسها.

صاح به (وليد) بدوره:

- أنت نفسك قلت: إنك لم تواجه سفاحاً متسلسلاً من قبل... وحتماً ليس مجنوناً خطيراً كهذا.

عقد (عابد) حاجبيه، وهو يقول فى غضب صارم:

- زوجتى وابنى فى قبضته .

قال (وليد)، محاولاً السيطرة على أعصابه:

- أقسم لك إنه لن يحاول إيذائهما، و...

قاطعه صوت صادر عن هاتف (عابد)؛ ليعلن وصول رسالة ذات وسائط متعددة، فالتقط (عابد) الهاتف فى سرعة ولهفة، وضغط زر الرؤية، ولم يكد يطالع تلك الصورة الرقمية، التى أرسلت إليه، عبر هاتف زوجته، حتى اتسعت عيناه عن آخرهما، وضغط دوّاسة الفرامل فى قوة، كاد توازن السيارة معها يختل تماماً...

فالصورة كانت بالفعل رهيبة...

إلى حد لا يمكن تصوّره...

على الإطلاق.

• • •

الفصل الثالث عشر

" ماما... انا خائف..... ... "

قالها (أحمد) الصغير، وهو يبكى فى حرقة، فضمته (جميلة) إلى صدرها، ضامة ارتجافته إلى ارتجافتها، ورعبها إلى رعبه، وهى تحدّق بعينين مذعورتين متسعتين إلى ذلك السفاح شبه النحيل، الذى يتحرّك وسط ذلك القبو الرطب، غير مبال بوجودها وابنها...

كان المكان مخيفاً، وتفوح منه رائحة الموت، وأرضيته تغطيها بقع كبيرة من دماء جافة...

وهناك، بالقرب من تلك المنضدة الجراحية القديمة، استقرّت تلك المقصلة الرهيبة...

وانتفض جسد (جميلة) للمرة الألف، وهى تتطلّع إليها، وحاولت أن تستجمع كل ما تبقى من إرادتها؛ لتقول بصوت، لا يقل ارتجافاً عن جسدها:

- (عابد) لن يتركك حياً، لو مسست شعرة منا.

ابتسم شبه النحيل ابتسامة ساخرة، وهو يدير رأسه إليها فى بطء، على نحو جعلها تنكمش، داخل ذلك القفص الحديدى، الذى وضعها وابنها فيه، ومال برأسه نحوها، حتى صار أنفه ملاصقاً لقضبان القفص، وهو يقول:

- لو جاء زوجك المقدام هذا إلى هنا، سيواجه ما لا قبل له به.

وفى هدوء، امسك قضيبين من قضبان القفص، ودفعهما جانباً، فانثنيا مع دفعته، كما لو أنهما مصنوعان من المطاط، ثم عاد يضغطهما، ويعيدهما إلى ما كانا عليه...

وشهقت (جميلة) بكل الرعب، و(أحمد) الصغير يهتف فى رعب:

- ماما.... هذا الرجل شرير.

ضمته إليها أكثر، وهى ترتجف فى قوة، قائلة:

- بل هو شيطان.

انفجر السفاح ضاحكاً، وكأنما راق له الوصف، وتراجع مبتعداً عن القفص، وارتكن إلى معمله الصغير، بسوائله مختلفة الألوان، وقواريره الزجاجية، فهتفت (جميلة):

- ماذا تريد منا بالضبط؟!

اعتدل السفاح فجأة، وقال فى شراسة وحشية:

- زوجك.

ثم عاد يميل نحوها، مضيفاً، وعيناه تلتمعان، كحفرتين من حفر النار:

- المقدّم (عابد شوقى).... (هولمز) الداخلية.

ازدردت لعابها، ثم قالت فى لهجة، أرادتها قوية صارمة، ولكنها خرجت من بين شفتيها ضعيفة مرتجفة:

- مادام (هولمز) الداخلية، فسيصل إليك حتماً.

أطلق ضحكة ساخرة أخرى، قبل أن يقول فى وحشية:

- لا تصدقى هذا اللقب، كما صدقه الآخرون... لقد تركت له ألف دليل، يمكن أن يقوده إلىّ، ولكنه لم يفعل.

ومال نحوها فى حركة حادة، جعلتها تتراجع مطلقة شهقة رعب، وهو يضيف، فى وحشية أكثر:

- لأنه مجرد واهم محظوظ، لم يعتد مواجهة من يفوقونه ذكاءاً.

هتفت فى صوت مختنق:

- (عابد) أذكى رجل عرفته فى حياتى.

اعتدل، قائلاً فى سخرية:

- ربما لم تعرفى سواه.

ثم أشار إلى معمله الصغير، قائلاً:

- ألم تتساءلى لماذا هذا المعمل، ولماذا هذه الأجهزة المعقدة؟!

لاذت بالصمت، وهى تحدق فيه فى رعب، عبر قضبان القفص، فى حين لم ينتظر هو تعليقها ليواصل فى لهجة جنونية:

- إنها أدواتى العبقرية... الأدوات المساعدة على انتاج أعظم عقار عرفته البشرية، فى تاريخها كله.

انكمشت أكثر وأكثر، وأدركت أنها وابنها قد سقطا فى قضبة مجنون خطير، فى حين تابع هو، فى زهو وحشى:

- العقار الذى حلم به كل بشرى، منذ هبط الانسان إلى الأرض... عقار القوة، والعبقرية، والخلود.

التمعت عيناه على نحو مخيف، وهو يتحرك فى القبو بنشاط ملحوظ، مستطرداً:

- حقنة واحدة منه، فى أوردتك مباشرة، تمنحك قوة بلا حدود، وتجعل خلاياك كالطود، لا شئ يمكنه أن يفنيها.

وشدّ قامته، فى منتصف القبو مباشرة، وهو يصرخ:

- حتى الموت نفسه.

غمغمت فى رعب:

- لا أحد ينتصر على الموت... الموت يأتينا ولو كنا فى بروج مشيّدة...

صرخ فى جنون:

- يأتى البشر وحدهم.

ثم عاد ينحنى نحوها، مكملاً:

- وليس أنصاف الآلهة.

كانت عيناه تلتمعان ببريق وحشى مخيف، جعلها تتراجع مع ابنها، الذى أجهش بالبكاء، فهتفت وهى تضمه إليها، فى محاولة لحمايته:

- أنت شيطان مجنون... هناك إله واحد للوجود كله.

اعتدل بحركة حادة، وهو يصرخ:

- هذا ما يقوله الحمقى أمثالك.

ثم وثب نحو جدار رطب، تعلقت عليه بلطة قديمة، ذات نصل قوسى مخيف، والتقطها فى حركة سريعة، ولوّح بها فى الهواء، على نحو ضاعف من رعبها ألف مرة، قبل أن يقول:

- هذا الجسد لا يمكن أن يفنى.... إنه يقطع الرءوس، ولا أحد يستطيع قطع رأسه.

فجأة، تحوّل من حالة الانفعال الجنونى الشديد، إلى حالة من الجذل الوحشى، وهو يسألها:

- ألم تتساءلى مثل الباقين، لو أننى ألقى الرءوس فى طريقهم،

فأين هى الأجساد؟!

غمغمت فى رعب:

- رءوس؟!.... أجساد؟!

أطلق قهقهة عالية مجنونة، ثم جذب ذراعاً معدنية، كانت تلك البلطة القوسية القديمة تخفيها، فانزاح جزء من الجدار، و...

وضمت (جميلة) ابنها إلى صدرها فى قوة، لتخفى عينيه فى جسدها، وهى تطلق صرخة رعب قوية للغاية...

فما راته أمامها، كان أبشع مشهد يمكن لبشر أن يراه.... على الإطلاق...

• • •

تحرك (عابد) فى انفعال شديد، داخل قسم الأدلة الجنائية بالوزارة، وهو يقول فى توتر:

- أريد تحليل كل خلية رقمية فى هذه الصورة... أريد معرفة ما الذى يمكن استخلاصه منها... ثم ماذا عن تقرير تتبع الاتصال، الذى نقل تلك الصورة إلىّ؟!

غمغم أحد رجال الأدلة الجنائية:

- التقرير سيصل خلال دقيقة واحدة يا سيادة المقدّم... اهدأ أرجوك... إنك بتوترك هذا، لا تساعدنا على القيام بعملنا كما ينبغى.

تمتم الدكتور (وليد)، الذى يجلس أمام مكتب فى الركن:

- أتفق معهم فى هذا.

صاح فيه (عابد):

- ألا يمكنك أن تصمت قليلاً، وتحتفظ بآرائك الطبية هذه لنفسك؟!... لقد رايت مثلى صورة زوجتى وابنى، داخل قفص معدنى كالحيوانات، والرعب يملأ وجهيهما... أى هدوء تطلبه منى بعد هذا؟!

أجابه الدكتور (وليد) فى حزم:

- الهدوء الذى يستلزمه الموقف.

تجمّد (عابد) لحظة، أغمض خلالها عينيه فى قوة، ثم عاد يفتحهما، قائلاً فى حزم:

- سأبذل قصارى جهدى.

غمغم الدكتور (وليد) فى حذر:

- ربما بالاستعانة بقرص مهدئ، قد....

قاطعه (عابد) فى صرامة:

- كلا.

ثم مال نحوه، مستطرداً فى عصبية:

- فى المرة الأخيرة، التى تناولت فيها عقارا مهدئا، استيقظت لأجد رأس سيادة اللواء على سطح مكتبى.

واعتدل فى حدة، مضيفاً فى عصبية أكثر:

- ولست مستعداً للاستيقاظ هذه المرة، لأجد رأس زوجتى وابنى أمامى.

امتقع وجه الدكتور (وليد) للفكرة، وهمّ بقول شئ ما، لولا أن ارتفع صوت أحد الفنيين، وهو يقول:

- إنه قبو قديم.

التفت إليه (عابد) فى لهفة، هاتفاً فى انفعال:

- قبو قديم؟!

أشار الفنى إلى الصورة الرقمية على الشاشة، وهو يقول:

- قمت بتحسين الخلفية، فبدت حجارة الجدران أكثر وضوحاً.... انظر يا سيادة المقدَّم... هذا النوع من الأحجار قديم الطراز، يعود إلى بدايات القرن العشرين على الأكثر، ثم هناك تلك البقع الخضراء، فى أركان الأحجار.

سأله (عابد)، بمزيج من الاهتمام والانفعال:

- ما الذى تعنيه؟!

أجابه الرجل:

- إنه نوع من الطحالب، التى تنمو فى الأماكن الرطبة، وفى المياة العذبة...

عاد (عابد) يسأله، فى انفعال أكثر:

- وما الذى يمكن أن يعنيه هذا؟!

أشار الرجل بيده، مجيباً:

- أن ذلك القبو فى منسوب، يقل عن منسوب المياة.

اعتدل (عابد)، مغمغماً فى تفكير عميق:

- أتعنى تحت منسوب مياة النيل؟!

هزَّ الرجل كتفيه، مجيباً:

- حتماً.

بدت علامات التفكير العميق على وجه (عابد)، حتى أن الدكتور

(وليد) مال نحوه، يسأله فى فضول:

- فيم تفكِّر يا (هولمز)؟!

تجاهل (عابد) سؤاله تماماً، وهو يواصل التفكير فى عمق، و...

وفجأة، ارتفع رنين هاتفه المحمول...

كان مستغرقاً فى التفكير، حتى أن جسده قد انتفض فى شدة، مع رنين الهاتف، ثم وثبت يده تلتقطه فى سرعة، وهو يقول فى عصبية:

- ماذا هناك يا (سعيد)؟!

أجابه (سعيد) عبر الهاتف، فى انفعال كبير:

- سيادة المقدَّم... (مروة) لم تزرع جهاز التنصُّت، الذى وجدناه فى مكتبها.

انعقد حاجبا (عابد) فى شدة، وغمغم فى صوت خافت:

- لم تزرعه؟!

هتف (سعيد):

- لقد كان يستمع إلى كل ما نقوله يا سيادة المقدَّم.... وهناك ما هو أسوأ من ذلك.

كرَّر (عابد) بحلق جاف:

- أسوأ من ذلك؟!

قال (سعيد) بكل انفعاله:

- لقد عثرنا على جهازين مماثلين، فى منزل والد زوجتك، و... وفى مكتبك يا سيادة المقدَّم.

ازداد انعقاد حاجبى (عابد) فى غضب، وهو يهتف:

- في مكتبي؟!

بدا من الواضح أن يبذل جهداً خرافياً، للسيطرة على أعصابه، قبل أن يسأل (سعيد) في صرامة:

- هل عثرت على (عطية)؟!

أجابه (سعيد) في سرعة:

- ليس بعد... ولكن هناك ما يمكن أن يقودني إليه.

صمت (عابد) لحظة، ثم قال في حزم صارم:

- افعل كل ما بوسعك... وأنا سأبحث عن الشخص، الذي أخرجناه جميعاً من المعادلة منذ البداية.

أراد (سعيد) أن يسأله أي شخص يعني، إلا أنه أنهى المحادثة، وسحب ورقة، كتب عليها اسماً، ثم وضعها أمام احد الفنيين، قائلاً بكل صرامة:

- جد كل ما يمكنك معرفته عن هذا الرجل.

لم يستطع الدكتور (وليد) كبح فضوله، فنهض من مقعده، يلقي نظرة على الاسم، الذي خطه (عابد) على الورقة...

وما أن وقع بصره عليه، حتى ارتفع حاجباه بدهشة...

بكل الدهشة...

• • •

" هنا في (المعادي).... ..."

قالتها (مروة) في تردد، وهي تقف أمام (سعيد)، الذي سألها في صرامة:

- ألديك عنوانه بالتفصيل؟!

أجابت في خفوت:

- نعم، ولكن...

ازدردت لعابها عند هذه النقطة، ثم هتفت فجأة:

- (عطية) ليس السفاح حتماً.

هتف بها في غضب:

- لماذا تدافعين عنه، بكل هذا الحماس؟!

صاحت:

- لأنني واثقة من أنه بريئ.

ثم تفجرت الدموع من عينيها فجأة، لتذيب ذلك الحاجز الصارم، الذي تضعه أمام شخصيتها، وهي تواصل:

- ربما يكون غبياً، جباناً، خشي أن تتهموه جزافاً، فلاذ بالفرار، ولكنه ليس السفاح حتماً.

كان قلبه أيضاً يذوب مع دموعها، ولكنه ازدرد لعابه، في محاولة للسيطرة على خلجات قلبه، وهو يقول في صرامة، بذل جهداً كبيراً لاصطناعها:

- ألأنه يعمل في مكتبك فحسب؟!

هزت رأسها نفياً في قوة، وهي تهتف:

- بل لأنه كان باستطاعته الحصول على أي ملف يريد، دون أن يلجأ إلى كل هذا... إنه وكيل المكتب... لا تنسى هذا.

رق صوته قليلاً، وهو يقول:

- ربما لم يشأ أن يعلم أحد أنه قد حصل عليه.... أعنى رسمياً.

بكت وانتحبت على نحو أكثر، مما جعله يسألها مشفقاً:

- ولكن لماذا تبكين هكذا؟!.... هل.... هل تحبينه؟!

ألقى السؤال الأخير فى توتر شديد، فهتفت مستنكرة:

- كلا بالطبع أيها الغبى.

تراجع مصعوقاً، وهو يهتف مكرِّراً ومستنكراً:

- غبى؟!

ضربت صدره بقبضتها، وهى تهتف باكية:

- نعم...غبى... لأنك لم تدرك أننى لا أحب، ولم أحب..... سوى.... سوى.

خفق قلبه، واتسعت عيناه وهو يحدِّق فيها، فدفنت وجهها فى صدره، وهى تهتف:

- سواك أيها الغبى.

فى هذه المرة، بلغ خفقان قلبه ذروته، فأمسك ذراعيها، وقال وصوته يرتجف كقلبه:

- (مروة).... إننى...

قاطعه فجأة رنين هاتفه المحمول، فالتقطه فى سرعة، وهو يقول فى توتر:

- إنه سيادة المقدَّم.

ثم هتف عبر الهاتف:

- هل من جديد يا سيادة المقدَّم؟!

سأله (عابد) فى انفعال:

- هل علمت أى ملف، ذلك الذى سرقه السفاح، من مكتب المحامية؟!

كان صوته عبر الهاتف عالياً، حتى أن (مروة) سمعته، فأجابت فى سرعة:

- ملف فيلا الدكتور (أكرم حمدى).

سمع (عابد) صوتها عبر الهاتف، فصمت قليلاً، وكأنما صدمه وجودها هذا، ثم قال فى صرامة:

- هذا ما توقَّعته.

ثم تابع فى حزم:

- والآن استمع إلىَّ، ونفذ ما سآمرك به تماماً، ودون أن تدخل عليه أية تعديلات.

وصاح فجأة، مكملاً:

- وابعد تلك المحامية عنك... لا أريد لأحد أن يستمع إلى هذا سواك.

أشار (سعيد) إلى (مروة) بالابتعاد، واستمع إلى (عابد) فى اهتمام...

ومن بعيد، راقبته (مروة)...

وانعقد حاجباها بدورها...

فملامحه كانت تشير إلى أن ما يستمع إليه يثير انفعاله... بمنتهى الشدة...

• • •

فى ارتباك ملحوظ، نهض عم (ناجى) يستقبل (عابد)، فى حديقة فيلا الدكتور (أكرم)، وهو يغمغم:

- لقد أتيت كما طلبت يا باشا.

لم تبد ابتسامة (عابد) طبيعية، وهو يقول:

- هذا ما كنت أنتظره منك يا عم (ناجى).

تطلع إليه عم (ناجى) فى حيرة قلقة، قبل أن يسأله:

- ماذا هناك يا باشا؟!

تجاهل (عابد) سؤاله تماماً، وهو يسأله:

- منذ متى تعمل هنا يا عم (ناجى)؟!

بدت الحيرة على وجه الرجل لحظات، وكأنه لم يستوعب السؤال، ثم لم يلبث أن أجاب، فى خفوت مضطرب:

- منذ زمن طويل يا باشا.

مال (عابد) نحوه، يسأله:

- ألا تذكر منذ متى بالتحديد؟!

تضاعفت الحيرة، المطلة من عينى عم (ناجى)، فاعتدل (عابد)، قائلاً فى صرامة:

- هل تعمل هنا، من قبل هجرة الدكتور (أكرم)، أم بعد هذا؟!

أجاب عم (ناجى)، فى سرعة هذه المرة:

- أعمل هنا منذ كان والده الدكتور (حمدى) رحمه الله، على قيد الحياة.

شدَّ (عابد) قامته، وهو يسأله فى صرامة أكثر:

- تعرف الدكتور (أكرم) جيداً إذن.

تطلَّع إليه عم (ناجى) لحظات فى صمت، ثم أجاب فى خفوت:

- لم أر سيادته منذ فترة طويلة، ولكن....

قاطعه (عابد) فى صرامة:

- ولماذا لم تره منذ فترة طويلة؟!

بدت حيرة عم (ناجى) وكأنما بلغت ذروتها، وهو يقول:

- قلت لك يا باشا أنه هاجر.

انعقد حاجبا (عابد)، وهو يقول فى حدة:

- غير صحيح.

حدَّق فيه عم (ناجى) فى دهشة حائرة، فأضاف فى صرامة:

- كل الأوراق الرسمية تقول: إن الدكتور (أكرم حمدى) لم يغادر البلاد قط.

حدَّق فيه عم (ناجى) أكثر، قبل أن يقول فى اضطراب:

- ولكن يا باشا، لو أنه لم يغادر، فأين هو؟!

مال (عابد) نحوه، قائلاً فى صرامة شديدة:

- هذا ما أتيت أسألك بشأنه.

تراجع عم (ناجى) كالمصعوق، وهو يقول:

- وما شأنى أنا يا باشا.

بدا (عابد) شرساً، وهو يقول:

- متى آخر مرة اتصل بك فيها الدكتور (أكرم) يا عم ناجى؟!

هتف الرجل فى ذعر:

- لم يفعل أبداً يا باشا!!.... من أنا، حتى يتصل بى مباشرة؟!

اقترب منه (عابد) فى شراسة أكثر، وهو يقول:

- اسمع يا عم (ناجى).... لقد راجعت ملف (أكرم حمدى) بنفسى، وكان يحوى صورة لبطاقة شخصية قديمة، وعندما نظرت إلى صورته، اتضحت لى الأمور كلها، وتلاشى كل الغموض، و....

بتر عبارته بغتة، مع نظرة الرعب، التى أطلت من عينى عم (ناجى)، وهو يتراجع كالمصعوق، محدِّقاً فى شئ ما، أو شخص ما، خلف (عابد) تماماً...

وبكل سرعته، استل (عابد) مسدسه، واستدار إلى البقعة التى يحدِّق فيها عم (ناجى)...

وهوت على مؤخرة عنقه ضربة قوية، ارتج معها مخه داخل جمجمته، وسقط....

سقط فى حديقة فيلا الدكتور (أكرم حمدى) فاقد الوعى... تماماً.

• • •

الفصل الرابع عشر

بمنتهى الحذر، فتح (عطية) باب تلك الشقة السكنية الصغيرة، المجاورة لسكنه، وأطلَّ بنصف وجهه خارجه، وهو يغمغم فى توتر:

- أستاذة (مروة)؟!.... كيف علمت أننى هنا؟!

أجابته (مروة) فى هدوء:

- منذ عام تقريباً، أخبرتنى عن تلك الشقة، التى أستأجرتها إلى جوار منزلك؛ لتقضى فيها بعض الوقت بمفردك.

غمغم فى توتر شديد:

- ولماذا أتيت؟!

فوجئ بـ(سعيد) يدفع الباب فى قوة، وهو يجيب فى صرامة:

- أنا أتيت بها .

تراجع (عطية) فى توتر، وصرخ:

- ماذا تريدون منى؟!

دفعه (سعيد) أمامه فى قوة، وهو يهتف به:

- لماذا هربت يا (عطية)؟!

هتف وكيل مكتب المحاماة فى رعب:

- لأنكم ستلقون التهمة علىَّ .

صاح به (سعيد) فى شراسة:

- ولماذا نفعل، لو لم تكن مذنباً؟!

صاح (عطية) فى انهيار:

- ذلك المقدَّم يكرهنى.... ألم تر هذا بنفسك؟!

قالت (مروة) فى عصبية:

- (عطية) ليس المذنب.... لقد أخبرتك هذا ألف مرة.

قال (سعيد) فى حزم، وهو يكبِّل حركة (عطية):

- فليثبت هذا إذن.

قالت فى عصبية أكثر:

- خطأ يا (سعيد).... خطأ... القانون يقول: البينة على من ادعى... انت تتهمه، فعليك إذن عبء الإثبات، وليس عليه أن ينفى عن نفسه اتهاماً لا يستند إلى أدلة.

قال فى حزم أكثر:

- لماذا إذن طلب منى سيادة المقدَّم أن أبحث عن (عطية) وألقى القبض عليه.

قالت فى سرعة:

- لا تنسى أن صوته عبر الهاتف كان مرتفعاً، على غير العادة.

توقف (سعيد)، يسألها فى توتر:

- ماذا تعنين؟!

أجابته بتوتر مماثل:

- أعنى أنه ربما لم يكن يخبرك هذا بالدرجة الأولى، ولكنه كان يشك فى وجود جهاز تنصُّت آخر، فنقل لك ما أراد أن يسمعه السفاح.

انعقد حاجبا (سعيد)، واستعاد فى لحظة مشهد المقدَّم (عابد)، وهو يتحدث عن الإيقاع بالسفاح فى صوت مرتفع، فى ممر مديرية الأمن...

هذا نفس ما فعله معه...

نفس الأسلوب...

ونفس الهدف...

أن تصل الرسالة إلى السفاح...

لقد أراده أن يتصوَّر أنهم يستهدفون (عطية)، ويتصوَّرون أنه السفاح...

وهذا يعنى أن (عطية) ليس هو السفاح بالفعل، كما قالت (مروة)...

فمن يكون السفاح إذن؟!

ثم أين ذهب المقدَّم (عابد)؟!...

أين؟!...

أين؟!..

• • •

تماماً كما فى الحلم....

رائحة رطبة تحيط به، وتملأ أنفه...

وهو ممدَّد على وسادة قديمة...

وهناك من يتحرَّك من حوله...

وفى بطء، راح عقله يصفو، وإن ظل يغلق عينيه...

واستقبلت أذناه صوتاً آخر، ارتجف له قلبه...

صوت بكاء مزدوج...

بكاء زوجته (جميلة)... وابنه (أحمد)...

ومع الصوت، الذى انخلع له قلبه، فتح (عابد) عينيه...

ورأى....

رأى نفسه داخل نفس القبو القديم الرطب، الذى رآه فى كوابيسه...

الأحجار الكبيرة...

الطحالب الخضراء...

الهواء الرطب، المشبَّع برائحة الموت والدم...

وحتى تلك البلطة القوسية القديمة...

والسفاح...

كان يتحرَّك على مقربة منه، ويوليه ظهره...

تماماً كما رآه فى كابوسه...

وفى أعمق أعماق المقدَّم (عابد)، انتفض شئ ما...

شئ يخشى أن يستدير إليه ذلك السفاح، فيجده جسداً بلا رأس، كما حدث فى الكابوس...

ولكن ما ارتجف جسده له أكثر، هو ما رآه على مسافة متر واحد، من ذلك السفاح...

زوجته وابنه، حبيسين فى قفص معدنى، من أقفاص الحيوانات، ويتطلعان إليه فى يأس مرير مستنجد مشفق...

وبكل ما فى نفسه من إرادة، غمغم:

- (جميلة)... أأنت بخير؟!

أجابته زوجته، من وسط دموعها:

- أنا و(أحمد) بخير حتى الآن، ولكن..

قاطعها ذلك السفاح، وهو يستدير إلى (عابد)، قائلاً فى شراسة ساخرة:

- ولكن الموت يحوم حول المكان بالفعل.

نقل (عابد) رأسه إلى ذلك السفاح، الذى ارتدى معطفاً أبيض، أو كان ذات يوم أبيض اللون، حتى امتزجت فيه الأوساخ ببقع من الدم، منحته مظهراً مزرياً بشعاً...

وكان يخفى نصف وجهه بقناع طبى قديم، وهو يتابع:

- أظن أنه قد حان الوقت؛ لتعترف بأنك لست بالعبقرية التى يصفونك بها يا (هولمز) الداخلية .

أجابه (عابد) فى تماسك:

- وأنت لست بالبراعة التى تتصوَّرها يا سفاح العصر.

أطلق السفاح ضحكة ساخرة قصيرة، والتمعت عيناه على نحو شيطانى، وهو يميل نحوه، قائلاً:

- بدليل أن الداخلية كلها قد فشلت فى الوصول إلىَّ، على الرغم من كل ما وضعته أمامها من أدلة.

غمغم (عابد):

- أهذا ما تتصوَّره؟!

اعتدل السفاح، قائلاً فى حزم:

- بل هذا ما أوقن منه.

صمت (عابد) لحظة، نقل بصره خلالها، بين زوجته وابنه وذلك السفاح، قبل أن يقول فى بطء:

- كل بشرى له حدوده.

شدُّ السفاح قامته، وهو يقول:

- هذا ينطبق على البشر العاديين.

والتمعت عيناه فى شدة، مع إضافته:

- وأنا لست بشرياً عادياً.

غمغمت (جميلة) فى مقت، وهى تضم (أحمد) إليها فى شدة:

- أنت شيطانى وحشى.

ابتسم السفاح ابتسامة ظافرة مزهوة، وهو يقول:

- لأنك مثلهم.... جاهلة.

قال (عابد) فى صرامة مفاجئة:

- هل آذاك والدك كثيراً، إلى هذا الحد؟!

انقلبت سحنة السفاح فجأة، إثر سؤال (عابد)، وامتلئت ملامحه بكل المقت، وهو يقول فى وحشية:

- لم يؤمن أبداً بأنه أنجب ولداً عبقرياً.

غمغم (عابد):

- أو مجنوناً.

اندلع الشرر من عينى السفاح، وهو يرميه بنظرة نارية، قبل أن يدير ذراعه فيما حوله، هاتفاً:

- وهل يمكن أن يفعل المجنون هذا؟!

تساءل (عابد)، فى لهجة حملت لمحة من السخرية، على نحو أدهش زوجته، وأثار توترها وخوفها:

- أن يقتل؟!... كل سفاح مجنون يمكنه أن يفعل هذا.

مال السفاح نحوه فى حركة حادة، وهو يقول:

- بل أن يمنح نفسه الخلود.

قلب (عابد) شفتيه، قائلاً:

- لو لم تكن مجنوناً لما قلتها... الخلود لله وحده يا رجل.

صاح فيه السفاح:

- هذا ما يقوله جاهل مثلك.

ثم عاد ينحنى نحوه فى حركة حادة، حتى ارتطمت أنفاسه بوجهه، مع متابعته:

- إنها أبحاث علمية، اتحدى أن يصل إليها عباقرة الطب والعلوم فى العالم... مزيج من البوتاسيوم، والبروتينات الحية، وخلايا المخ البيضاء والرمادية، مع سائل حيوى صنعته بنفسى، ومواد نادرة أخرى... باختصار.... إنه مصل الخلود، الذى حلم به البشر منذ الأزل... المصل الذى يضاعف من قوة البشر ألف مرة، ويجعل خلاياهم قادرة على إعادة بناء نفسها فى لحظات... أيبدو لك هذا عملاً مجنونياً.

أجابه (عابد) فى حزم:

- بالتأكيد.

انعقد حاجبا السفاح، وهو ينظر إليه فى غضب، فتابع (عابد) فى صرامة، على الرغم من قيوده:

- فهذا لا يبرِّر شفطك لأمخاخ ضحاياك وهم أحياء.

شهقت (جميلة) لدى سماعها هذا، وضمت (أحمد) إلى صدرها، فأجهش فى البكاء فى ذعر، مما جعل السفاح يلتفت إليها، ويقول بعينين

متألقتين، وكأنما يتلذذ بتعذيبها:

- أنا أقطع رءوسهم أيضاً.

تراجعت داخل قفصها فى رعب، وضمت إليها ابنها أكثر، فقال (عابد) فى مقت:

- أرأيت كم أنت مجنون؟!

أعاد السفاح بصره إليه، وهو يقول فى مقت:

- شفط أمخاخ الأحياء، يضمن الطاقة الحيوية لخلايا المخ، حتى اللحظة الأخيرة.

غمغم (عابد):

- مجنون.

أطلّ غضب عنيف من عينى السفاح، وهو ينظر إليه لحظات فى صمت، ثم عاد يميل نحوه، قائلاً:

- فليكن... مادمت تصرُّ على وصفى بالمجنون، فدعنى أريك عينه من هذا الجنون إذن.

ثم اعتدل بحركة حادة، وأشار إلى ذلك القفص، الذى يضم (جميلة) و(أحمد)، مستطرداً فى شراسة:

- هذا القفص يحوى اثنين، من أقرب الناس إلى قلبك... عليك الآن أن تختار أحدهما.

والتمعت عيناه، واكتست ملامحه بوحشية، تدفقت إلى صوته، وهو يضيف:

- وسأقطع رأس الآخر.

شهقت (جميلة) بكل الرعب، فى حين عاد السفاح ببصره إلى (عابد)، قائلاً بكل وحشيته وشراسته:

- هيا يا (هولمز) الداخلية... أمامك دقيقة واحدة لتتخذ قرارك... أية رأس تحب أن تحملها بين ذراعيك... رأس زوجتك... أم رأس ابنك... هيا.

وانفجرت (جميلة) باكية...

بكل رعب الدنيا...

كله...

بلا حدود...

• • •

"سيادة الملازم...."...

هتف الدكتور (وليد) بالملازم (سعيد)، عند مدخل إدارة الأدلة الجنائية، فتوقف (سعيد) عن خطواته المسرعة، واستدار إليه، قائلاً فى توتر:

- دكتور (وليد)!!... معذرة... أنا متعجِّل لمقابلة سيادة المقدَّم، و...

قاطعه (وليد) فى حزم:

- إنه ليس هنا.

انعقد حاجبا (سعيد)، وهو يقول فى توتر:

- أين ذهب إذن؟!... هاتفه لا يجيب، و...

قاطعه الدكتور (وليد) مرة أخرى:

- لقد ترك لك معى رسالة.

انتفض شئ ما فى كيان (سعيد)، وهو يردد:

- رسالة؟!

مدَّ (وليد) يده إليه بالرسالة، وهو يقول:

- قرر فجأة أن يراجع ملف صاحب الفيلا... الدكتور (أكرم حمدى)، ثم ترك لك هذه الرسالة، وانصرف مسرعا .

فضَّ (سعيد) الرسالة، فى سرعة ولهفة، والتهم كلماتها فى ثوان، ثم التقط الصورة المرفقة بها، وتطلع إليها طويلاً، وانعقد حاجباه فى شدة، وهو يغمغم:

- مستحيل!!...

غمغم الدكتور (وليد):

- لست أدرى شيئاً عن محتويات الرسالة، ولكن كلى فضول، و...

لم يستطع إتمام عبارته؛ لأن (سعيد) تركه فجأة، وانطلق يعدو عائداً إلى سيارته، التى استقلها، وانطلق بها بأقصى سرعة...

وظلَّ فضول الدكتور (وليد) ملتهباً...

ولكن كان من الواضح أن ما حوته رسالة (عابد) كان بحق مدهشاً مثيراً... للغاية...

• • •

ألقى السفاح نظرة على ساعة يده، وهو يقول فى شراسة:

- عشر ثوان تبقت، ولم تتخذ قرارك بعد يا هولمز الداخلية .

تطلع (عابد) إلى تلك البلطة القوسية، المعلقة على الجدار الرطب، خلف السفاح تماماً، والتى أدهشه أن تطابقت مع ما راوده فى كابوسه، وقال فى بطء:

- وهذا يمتعك... أليس كذلك؟!

قال السفاح فى صرامة:

- سبع ثوان فقط تبقت... ولا تتصوَّر أننى أخادع... إن لم تختر أحدهما، سأضطر إلى قطع رأسيهما معاً...

وعادت عيناه تتألقان، وهو يضيف:

- هذا قبل أن أشفط مخك، وأقطع رأسك بالطبع .

قال (عابد) فى صرامة:

- لأنك تخشى مواجهتى .

قال السفاح ساخراً:

- أهذا ما تحاول إقناع نفسك به؟!

أجابه (عابد) فى صرامة أكثر:

- بل هذا هو واقع الأمر... أنت تقول: إنك أكثر قوة، وعلى الرغم من هذا تخشى أن تحل قيودى؛ حتى لا تضطر لمواجهتى... اعترف بهذا.

تطلع إليه السفاح لحظات، قبل أن يقول فى سخرية:

- خدعة قديمة قدم الدهر أيها المقدَّم .

ثم جذب من ملابسه مفتاحاً قديماً، وهو يضيف:

- ولكنها تحتاج إلى درس جديد .

وانحنى يحل قيود (عابد) المعدنية، وهو يكمل:

- سأسمح لك بمواجهتى، حتى أحطم عظامك مع كبريائك، أمام زوجتك وابنك، قبل أن أضيف رءوس ثلاثتكم إلى مجموعتى، وعصارة أمخاخكم إلى عقارى المدهش .

شعر (عابد) بمزيج من الارتياح والتوتر، عندما حلَّ السفاح قيوده، ثم تراجع بضع خطوات، قائلاً:

- هيا... أرنى كيف ستواجهنى .

أدار (عابد) عينيه إلى تلك البلطة القوسية القديمة على الجدار، فتابع السفاح بصره، وقال فى سخرية:

- لو أنك تتصوَّر أنها السلاح، الذى سيؤمن لك النصر، فلا تتردَّد... اذهب والتقطها.

لم يتجه (عابد) نحو البلطة، وإنما شدَّ قامته فى مواجهة السفاح، وهو يقول:

- أمازلت تتصوَّر أنك أكثر ذكاءً، من وزارة الداخلية كلها؟!

حملت عينا السفاح ابتسامة ساخرة، وهو يقول:

- ما رأيك أنت؟!

أجابه (عابد) فى حدة:

- رأيى أنك مغرور مجنون .

مال السفاح برأسه نحوه، وهو يقول:

- ولكن هذا المغرور المجنون نجح فى هزيمتك، يا من يطلقون عليه اسم (هولمز) الداخلية.

شدَّ (عابد) قامته أكثر، وهو يقول فى حزم:

- هراء.

قال السفاح فى حدة:

- أنا أسيطر على الأمور منذ البداية .

أشار إليه (عابد)، قائلاً:

- لماذا تخفى وجهك بهذا القناع إذن؟!

وصمت لحظة، ثم أضاف فى بطء وحزم:

- يا دكتور (أكرم).

صمت السفاح لحظة، ثم قال فى صرامة وحشية، بادية الغضب:

- الدكتور (أكرم) هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية.

قال (عابد)، فى لهجة حملت لمحة الظفر:

- خطأ.... الوثائق الرسمية تؤكِّد غير هذا... أنت لم تهاجر، وإنما فقط أردت طمس هويتك؛ حتى يمكنك فعل كل ما تريد، دون أن تتطرَّق إليك الشبهات .

ومال هو بدوره نحو السفاح، مضيفاً:

- بالغت فى تقدير ذكائك، ونسيت أنك تواجه (هولمز) الداخلية.

انتفض السفاح، وهو يقول فى حدة:

- (هولمز) الداخلية الآن فى قبضتى، مع زوجته وابنه... هيا...

انقض عليَّ... ودعني أريك أنك لا تساوى شيئا.

أشار (عابد) بيده، قائلاً:

- لقد صرعت بطل المصارعة يا هذا، ولن يدهشنى أن تطرحنى أرضاً بضربة واحدة، ولكن هذه ليست المواجهة التى أعنيها.

اتخذ السفاح وقفة قتالية، وهو يقول متحدياً:

- أنا مستعد لأية مواجهة تعنيها .

أشار (عابد) إلى رأسه، وهو يقول:

- ما رأيك بهذا السلاح؟!

انفجر السفاح ضاحكا فى سخرية، قبل أن يقول فى تحد وحشى:

- بهذا تخسر المواجهة حتماً.

ثم أشار إلى رأسه بدوره، مضيفاً فى زهو شرس:

- نسيت أن أخبرك: إن عقارى المذهل لا يضاعف قوة الانسان وكفاءة خلايا جسده فحسب.... إنه يضاعف ذكاءه مرات ومرات أيضاً... ربما كنت أنت (هولمز) الداخلية، ولكننى أنا هازم الداخلية، بكل أقسامها وإداراتها، وكل رجالها... من أصغر الفنيين، وحتى وزيرها نفسه... انا الأقوى... انا الأعظم... انا الأذكى والأبرع.

كانت عيناه تلتمعان، وهو ينطق كلماته الاخيرة، ثم لم يلبث لمعانهما أن صار بريقاً وحشياً مخيفاً، وهو يواصل ، فى لهجة مرعبة:

- أنا المنتصر .

هزَّ (عابد) رأسه فى بطء، قبل أن يقول:

- هذا لا يثبت أنك مجنون فحسب... بل فاشل أيضاً .

استدار السفاح فى سرعة مدهشة، والتقط تلك البلطة القوسية من الجدار وأمسكها بقبضته فى قوة، ولوَّح بها، قائلاً:

- وهذا الفاشل سيقطع رأسك، أمام زوجتك وابنك، يا (هولمز) الداخلية الوهمى.

لم يبد الخوف على المقدَّم (عابد)، وهو يواجه تلك البلطة القديمة الرهيبة، قائلاً فى صرامة:

- (هولمز) الداخلية كشف حقيقتك يا هذا.

تقدَّم السفاح نحوه، وهو يقول فى وحشية قاسية:

- كشف نصفها فقط أيها المتحذلق .

وبدلاً من أن يتراجع (عابد) امام تلك البلطة الرهيبة، شدُ قامته اكثر، وهو يقول فى صرامة:

- استعد إذن لسماع النصف التالى .

ثم واجه السفاح باسمه...

اسمه الحقيقى...

وأطلقت (جميلة) شهقة شديدة القوة هذه المرة...

فرد فعل السفاح، جعل من الواضح أن ذلك الاسم هو اسمه بالفعل، وهو آخر اسم كان يمكن أن يتوقعه أحد...

وأن الهوية الحقيقية للسفاح مذهلة...

بحق.

• • •

الفصل الأخير

لم يكد (سعيد) يوقف سيارته إلى جوار فيلا الدكتور (أكرم حمدى)، حتى وثب منها، متجهاً إلى بوّابة الفيلا الخارجية، وحاول دفع الباب المعدنى الكبير، إلا انه كان مغلقا بسلسلة كبيرة، من الفولاذ الصلب، تنتهى بقفل ضخم...

ودون إضاعة لحظة واحدة، وثب (سعيد) يتعلق بالبوّابة المعدنية للفيلا، وراح يتسلقها فى سرعة وخفة، ثم وثب إلى داخل الحديقة، وراح يدير عينيه فيها فى توتر، على ضوء القمر...

وعند بقعة ما، توقّف بصره، ثم اندفع إلى تلك البقعة، وانحنى يفحصها فى اهتمام...

الآن أفادته دروس اكاديمية الشرطة...

هناك صراع ما دار هنا...

شخص باغت أخر، وأسقطه على تلك المنطقة، التى انكسر العشب فيها...

فحص تلك المنطقة مرتين، قبل أن ينهض ويتلفت حوله...

بوّابة الفيلا مغلقة من الداخل...

المهاجم مازال هنا حتماً...

ولكن أين؟!

أين؟!..

" يمكنك الآن أن تنزع قناعك، بعد أن علمت أننى قد كشفت أمرك، على الرغم من كل ما فعلته "...

مضت لحظة من الصمت، بعد أن قال (عابد) عبارته تلك، ثم مدّ السفاح يده الحرة، وانتزع القناع الجراحى؛ ليكشف ملامحه، وهو يقول فى مقت:

- ولكنك مازلت فى قبضتى .

عاد يمسك البلطة فى قوة، متجهاً بها نحو (عابد)، فصرخت (جميلة) فى رعب:

- لا يا (عابد).... لا... اهرب واتركنا... اهرب.

التفت إليها (عابد)، قائلاً فى صرامة:

- سنخرج كلنا م هنا معاً يا جميلة.

رفع السفاح البلطة فوق رأسه، وهو يهتف فى مقت:

- مغرور كعادتك يا هذا.

صرخت (جميلة) مرة أخرى، ولكن (عابد) ظلّ ثابتاً فى مكانه، وهو يقول فى حزم:

- ألا تريد أن تعرف أوّلاً، كيف كشفت أمرك؟!...

توّقفت يد السفاح فى الهواء، وهو يتطلع إلى (عابد) فى حقد ومقت، ثم لم يلبث أن قال، دون أن يخفضها:

- سأمنحك دقيقة واحدة.

" لا تأبه لتهديداته أو وعيده؛ فعلى الرغم من غضبه، عندما تواجهه بأنك قد كشفت أمره، إلا أنه لن يستطيع مقاومة فضوله؛ لمعرفة كيف كشفت أمره، وهو الذى يتصوّر أنه أذكى أهل الأرض.... "...

استعاد (عابد) كلمات الدكتور (وليد)، وهو يواصل لعب دور المتماسك، أمام ذلك السفاح، الذى اشتعل كيانه كله بغضب، لم يجمحه سوى فضوله الشديد للمعرفة، والذى جعل (عابد) يزدرد لعابه، ثم يقول:

- أعترف بأن خدعتك المتقنة قد خدعتنا جميعاً فى البداية، وكان يمكن أن تخدعنا إلى النهاية، لولا أن لجأت إلى سرقة ملف الفيلا، من مكتب الأستاذة (مروة) .

لم يعلق السفاح بحرف واحد، وهو مازال يرفع البلطة عالياً، على مسافة متر واحد من (عابد)، الذى واصل:

- هذا دفعنى إلى طرح سؤال هام... ما المفتاح الناقص، فى هذه القضية كلها.... راجعت كل شئ، ثم انتبهت إلى أننا قد راجعنا كل شئ، إلا ملف الفيلا وصاحبها الدكتور (أكرم حمدى).

غمغم السفاح فى مقت:

- أخبرتنى هذا من قبل.

تابع (عابد)، وكأنه لم يسمعه:

- كنت أشك فى أن السفاح قريب من الفيلا، على نحو أو آخر، فكل الاتصالات ترد بالقرب منها، وكل الأحداث ترتبط بها، ولهذا طلبت من القسم الفنى كل ما لديهم عن الدكتور (أكرم حمدى)... وعندما رأيت صورته، على الرغم من اختلافها قليلاً عن ملامحه الحالية، قفز الحل إلى رأسى دفعة واحدة.

ازدادا الحقد، المطل من عينى السفاح، و(عابد) يواصل:

- كان السؤال هو: كيف بدأ كل هذا؟!... العثور على الرءوس، والبحث عن (يزبك) الوهمى، وحتى مصرع سكرتيرة (مروة)، التى أطلقت صرخة توحى بأنها تعرف قاتلها... وعندما اعتصرت ذهنى، وجدت نفسى أمام سؤال هام جداً... ما العامل المشترك بين كل هذا؟!...

صمت لحظة، ثم قال:

- وبتحليل نمطى للمعلومات، واستبعاد المستحيلات، كما كان يقول (هولمز) الفعلى، وجدت العامل المشترك الوحيد، الذى يربط كل الأحداث بعضها ببعض، ويوجد لها تفسيراً، هو أنت يا دكتور (أكرم).

ثم قسا صوته، وهو يضيف:

- أم أقول.... يا عم (ناجى).

ضاقت عينا الدكتور (أكرم)، وهو يغمغم فى مقت:

- ضربة حظ ليس أكثر... لقد أعددت كل شئ بمنتهى الدقة.

أشار (عابد) بيده، على نحو سمح له بإلقاء نظرة سريعة على ساعة معصمه، وهو يقول:

- هذا ما تصوُّره... لقد خفضت وزنك كثيراً؛ لتنتحل شخصية عم (ناجى)... البستانى البسيط، والذى أعتقد أنه كان أوُل ضحاياك... وأعترف أنك لعبت دور الفلاح الساذج فى براعة، إلا أن كل ما تحرُّكنا بسببه، كان يرتبط بك، على نحو أو آخر... أنت من أبلغ عن تلك الرءوس... وأنت من أشار إلى (يزبك) الوهمى.... وأنت من كان باستطاعته الوصول إلى مكتب (مروة) طوال الوقت؛ لتزرع جهاز التنصُّت... لهذا عرفتك السكرتيرة المسكينة... ولهذا خالفت القاعدة، وقتلتها.

والتقط (عابد) نفساً عميقاً، قبل أن يتابع فى صرامة:

- كل هذا كان بالنسبة لك مجُرد لعبة، تحاول أن تثبت بها لنفسك قبل الآخرين، أنك الأذكى والأبرع.

زمجر الدكتور (أكرم)، وهو يقول:

- دعونى أعترف أننى قد خدعتكم.

ابتسم (عابد) ابتسامة استفزته، وهو يقول:

- ليس لفترة طويلة.

همُ السفاح بالصراخ بشئ ما، ولكن (عابد) أشار بيده، مكملاً:

- الخدعة الرائعة بالفعل، كانت خدعة تلك الحفرة فى القبو، والتى مزجت الأسمنت فيها بالدم.

قال السفاح فى شراسة:

- أتحداك أن تعلم لماذا؟!

مال (عابد) نحوه، وهو يقول:

- وما الذى سأحصل عليه، لو فزت بالتحدِّى؟!

انعقد حاجبا السفاح فى شدة، وهو ينظر إليه فى توتر، فاعتدل (عابد)، وهو يجيب سؤاله:

- هل ستطلق سراح زوجتى وابنى؟!

ولكنه لم يحصل من السفاح إلا على نظرة مقت...

ولكن بلا إجابة...

أى إجابة...

• • •

ذلك القبو كان بشعا بحق...

إضاءته خافتة للغاية، وأرضيته مازالت محفورة، وبقايا الحفر فى كل مكان، مازالت تحمل آثار الدماء الممتزجة بالأسمنت...

وشعر (سعيد) بقشعريرة تسرى فى جسده...

قشعريرة باردة كالثلج...

أو ككل ثلوج الدنيا...

ومرة أخرى، أخرج (سعيد) تلك الرسالة، التى تركها له المقدَّم (عابد)، وعاد يقرأ فقرتها الأخيرة، ثم طواها، ودسَّها فى جيبه، واستل مسدسه، وراح يتحسَّس جدران القبو بحذر...

بكل الحذر...

"كانت مجرَّد وسيلة إلهاء..."

قالها (عابد) فى حزم، فتألقت عينا الدكتور (أكرم)، وهو يقول:

- وسيلة ناجحة.

وافقه بإيماءة من رأسه، قائلاً:

- أعترف بهذا... الإضاءة الخافتة، مع الأسمنت المخلوط بالدم... كل هذه البشاعة جذبت انتباهنا، بعيداً عن المدخل السرى لهذا القبو... الذى يقع تحت قبو الفيلا الأصلى.

ابتسم الدكتور (أكرم) فى وحشية، وهو يقول:

- لقد عثرت عليه، عندما كنت فى السادسة عشرة من عمرى، واعتبرته سرى، الذى لم أطلع عليه أحداً قط.

شدَّ (عابد) قامته مرة أخرى، وقال:

- الآن صرنا نعرفه.

تألقت عينا لاسفاح، وهو يرفع بلطته إلى أعلى، هاتفاً:

- الموتى لا يفشون الأسرار، يا (هولمز) الداخلية.

ثم هوى بالبلطة، صارخاً فى جنون:

- سابقاً...

وامتزجت كل الأصوات فى تلك اللحظة...

زمجرة السفاح الوحشية...

صرخة (جميلة)...

بكاء (أحمد)...

ودوى الرصاصة...

رصاصة انطلقت فجأة، لتضرب صدر السفاح، وتلقى به أرضاً، ليرتطم بأرضية القبو القديم فى عنف، وتطير البلطة القوسية من يده...

وبكل انفعال الدنيا، صرخت (جميلة):

- الملازم (سعيد)؟!

وفى انفعال آخر، هتف به (عابد):

- لماذا تأخرت؟!

غمغم (سعيد)، الذى يقف عند المدخل السرى للقبو القديم:

- العثور على المدخل السرى لهذا القبو لم يكن سهلاً، يا سيادة المقدم.

نقلت (جميلة) بصرها، بينهما وبين السفاح الملقى أرضاً، متسائلة بصوت مرتجف كجسدها:

- هل.... هل مات؟!

لم تكد تتم سؤالها، حتى هب السفاح واقفاً على قدميه، وأطلق صرخة رهيبة، تجمدت لها الدماء فى عروقها، وهو ينقض فى وحشية شرسة مخيفة، على (عابد) و(سعيد)، ويطيح بمسدس هذا الأخير بضربة عنيفة...

ووثب (عابد)...

واستدار إليه السفاح فى وحشية...

وصرخت (جميلة) مرة أخرى...

صرخت صرخة أشد رعباً وهولاً...

ألف مرة...

• • •

بدا وزير الداخلية شديد التوتر، وهو يواجه مدير الأمن العام، قائلاً فى غضب:

- كيف تسند المهمة إلى رجل مباحث، يعانى من مشكلة شخصية يا سيادة اللواء؟!... ألا تعرف ألا تعرف قاعدة العمل... لا أمور شخصية فى البحث.

قال مدير الأمن فى توتر:

- المقدم (عابد شوقى) من أكفأ ضباط البحث الجنائى، فى

الوزارة كلها يا سيادة الوزير، وكلى ثقة فى...

قاطعه الوزير فى حدة:

- فى ماذا؟!... الرجل يعانى من توتر شديد، بسبب سقوط زوجته وابنه، فى قبضة سفاح الرءوس، فكيف تتوقع منه أن يجيد عمله؟!

حاول مدير الأمن تبرير موقفه، وهو يقول:

- سيادة الوزير... إن...

قاطعه رنين الهاتف الخاص للوزير، فاختطف هذا الأخير سماعته، وهو يقول فى توتر:

- ما الجديد؟!

التمعت عيناه على نحو عجيب، وأدار بصره إلى ساعة الحائط، قبل أن يقول:

- نعم... نعم... إنها العاشرة والربع فحسب.

أنهى المحادثة، وبدا الانفعال محفوراً على ملامحه، فتنحنح مدير الأمن، وهو يسأله فى حذر:

- ما الجديد يا سيادة الوزير؟!

رفع الوزير عينيه إليه فى صمت لحظات، قبل أن يقول فى بطء:

- لن تصدق...

وتراجع مدير الأمن فى دهشة...

وعربدت عشرات الأسئلة فى رأسه...

أسئلة، لكى نجد جواباً لها، لابد وأن نعود بالأحداث إلى الخلف...

إلى تلك اللحظة، التى وثب فيها (عابد)، والتفت إليه السفاح فى شراسة وحشية، و...

وبكل الدوافع القوية فى أعماقه، اندفع الأدرينالين بقوة فى عروق

المقدَّم (عابد)، وهو يختطف تلك البلطة القوسية من الأرض..

كل مافكر فيه، فى تلك اللحظة، هو زوجته وابنه..

ولقد دفع هذا طاقة إضافية فى عروقه وعضلاته..

وبكل وحشيته وشراسته، وثب السفاح نحوه...

وفى سرعة، لم يعتدها فى نفسه قط، دار (عابد) حول نفسه، وطوَّح البلطة بكل قوته، و...

وصرخت (جميلة) بكل الرعب...

ولم ينبس السفاح ببنت شفة...

فقط حملت عيناه نظرة ذهول...

وفى مشهد رهيب، تدحْرجت رأسه على أرضية القبو القديم، وارتطمت بذلك القفص، الذى تقبع داخله (جميلة) مع ابنها...

وبكل رعب الدنيا، حدَّقت (جميلة) فى رأس السفاح المقطوع، بعينين بلغتا ذروة اتساعهما، ثم راحت تصرخ...

وتصرخ...

وتصرخ...

" (جميلة).... حبيبتى.... لقد انتهى كل شئ.... "

رفعت (جميلة) عينيها عن الرأس المقطوع، وحدَّقت فى وجه (عابد)، الذى هتف بمساعده (سعيد):

- لا تقف صامتاً هكذا... ابحث عن وسيلة لكسر قفل هذا القفص اللعين.

هتفت (جميلة) بصوت مختنق مذعور، وهى تشير إلى ذلك الجدار، الذى كانت تلك البلطة القديمة معلقة عليه:

- هناك... خلف ذلك الجدار... اجذب الذراع.

التفت (عابد) إلى حيث تشير، وترك (سعيد) يبحث عن وسيلة

لكسر قفل القفص، فى حين اتجه هو ليجذب تلك الذراع، فانزاح الجدار أمامه، و...

واتسعت عيناه عن آخرهما، وهو يغمغم، فى مزيج من الاشمئزاز والانفعال:

- هذا ماكانت تعنيه المرأة، فى قاع ذلك الصندوق إذن!!!...

فما كان خلف الجدار، كان صورة رهيبة للرعب...

كل الرعب...

" ماذا كان هناك بالضبط؟!... "...

ألقى مدير الأمن السؤال فى اهتمام، فأشار (عابد) بيده، مجيباً:

- الأجساد يا سيادة اللواء... الحجرة الخفية خلف الجدار، حوَّلها ذلك المجنون إلى براد كبير، علَّق فيه أجساد ضحاياه، كما لو كانت عرائس ماريونيت... الأبشع أنه احتفظ هناك بجثة والده أيضاً، وكأنما يريد أن يستعرض ضحاياه أمامه، ويثبت له أنه ناجح ومتفوِّق.

غمغم مدير الأمن فى اشمئزاز:

- يا للبشاعة... إنه مجنون بحق!!

أشار (عابد) بيده، مغمغماً بدوره:

- المهم أنها قد انتهت يا سيادة اللواء، ولنأمل ألا نواجه قضية مماثلة مرة أخرى قط.

تطلع إليه مدير الأمن لحظة فى صمت، قبل أن يقول:

- هل تعتقد هذا، مع كل التغيرات فى مجتمعنا؟!

ولم يجب (عابد)...

ولو بحرف واحد..

• • •

" لن تصدق هذا أبداً أيها المقدم... "..

هتف بها الدكتور (نشأت) فى رعب، وهو يعدو نحو (عابد)، الذى سأله فى لهفة متوترة:

- ماذا حدث يا دكتور (نشأت)؟!

كان جسد الدكتور (نشأت) وصوته يرتجفان، وهو يقول:

- ذلك السفاح... لقد اختفت جثته، واختفت رأسه أيضاً... عامل المشرحة أصيب بانهيار عصبى، وهو يقسم أنه قد رأى الجسد ينهض، ويستعيد رأسه.

اتسعت عينا (عابد)، وشعر بأطرافه ترتجف، وهو يقول:

- ولكن هذا مستحيل يا دكتور (نشأت)... لقد قطعت رأسه بنفسى، ومن غير الممكن ان...

بتر عبارته فجأة، مع نظرة الرعب الهائلة، التى أطلت من عينى الدكتور (نشأت)، وهو يتراجع كالمصعوق، متطلعاً إلى شئ ما خلف (عابد)...

نفس ما فعله معه السفاح، عندما كان فى شخصية عم (ناجى)، لكى يدفعه للاستدارة، ويضربه على رأسه...

وكما حدث فى حديقة الفيلا، استدار (عابد)...

ثم تراجع كالمصعوق...

فخلفه مباشرة، كان يقف جسد الدكتور (أكرم)...

جسد بلا رأس...

جسد انقض عليه، وقبض بكفيه على عنقه، و...

" (عابد).... هل غلبك النوم؟!.... ..."

انتزعه صوت زوجته من كابوسه، فاعتدل بحركة سريعة، وغمغم وهو يفرك عينيه:

- لقد غفوت قليلاً فحسب.

هتف به:

- ولكننا بهذا سنتأخر على حفل خطبة (سعيد) و(مروة).

عقد رباط عنقه فى سرعة، مغمغماً:

- لن يمكنه أن يبدأ قبل وصولنا.

وابتسم مردفاً:

- إنه مساعدى... هل نسيت؟!

مطت شفتيها، قائلة فى تبرم:

- حديث عن العمل مرة أخرى... يا ربى.... لماذا تزوجت ضابط شرطة؟!.... لماذا؟!

حدق فيها (عابد) لحظة، ثم ضم ابنه (أحمد) إليه، وراح يضحك... وبكل صفاء الدنيا...

بحق.

• • •

تمت بحمد الله

مدينة الرحاب

19 أكتوبر 2013

• • •

الفهرس

سبارك



من اين ينشا الخوف ؟!...

امما نواجهه في حياتنا ؟!...

ام مما تمليه علينا كوابيسنا ؟!...

ام ما توحى به اوهامنا ؟!...

سؤال، ايا كان جوابه، فكل ما تشعر به من خوف او رعب،

إنما ياتى من اعمق اعماق اقوى عضو في جسدك...

راسك...

فماذا اذا ما واجهت خصوما...

بلا رءوس.

د. نبيل فاروق